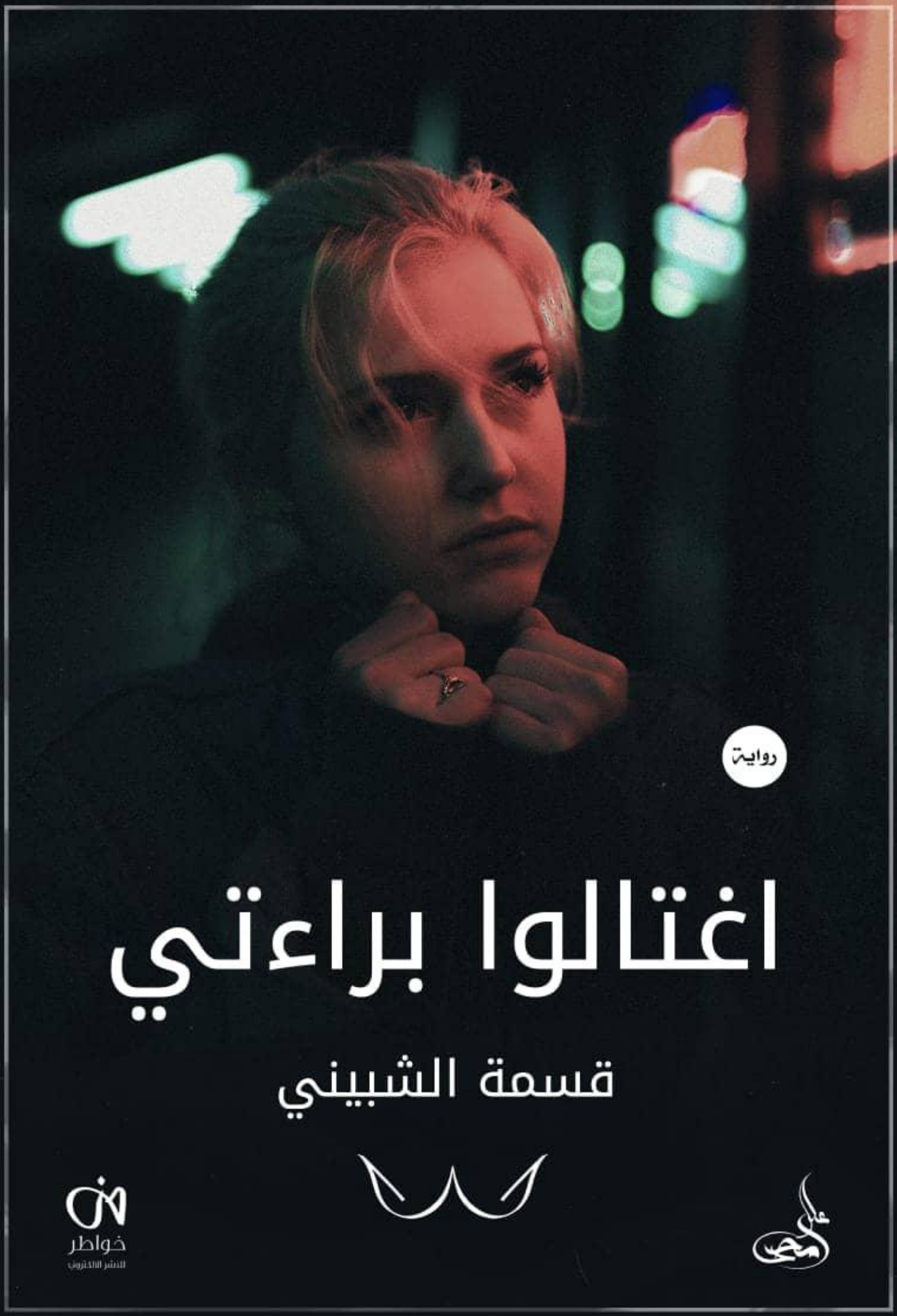
رواية
اغتالوا براءتي
قسمة الشبيني
خواطر
للنشر الالكتروني

نشرت الطبعة الأولى في مصر لدار خواطر للنشر الإلكتروني عام 2019 م

حقوق النشر والطبع محفوظة لدار النشر ولا يسمح لأي جهة نشر أو مشاركة أي جزء من الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو بأي صورة أخرى بدون أخذ تصريح مباشر من الدار

فريق العمل

تقييم: أميرة الزغبي

تصميم: محمد علي

مراجعة لغوية: نهى خدري

تدقيق لغوي

عبير عبد الستار خليل - أميرة شريف

تنسيق: نهى خدري - عمرو عصام

رئيس مجلس الإدارة

نهى خدري عبير عبد الستار خليل

الإشراف العام

عمرو عصام نبهان جمعة

للتواصل مع الدار :

https://twitter.com/Khawate05670812

http://saydul-khawater.blogspot.com

khawater4publishing@gmail.com

https://www.facebook.com/SaydulKhawater/

اغتالوا براءتي

رواية لـ/ قسمة الشبيني

-1-

سهى عبد الرحمن

فتاة لم تتم السادسة عشر من عمرها يتيمة الأم توفيت والدتها أثناء ولادتها، فتزوج الأب من أخرى لترعى الصغيرة فأنجبت له علي وهو الأخ الوحيد لسهى ويصغرها بعامين تعاملها زوجة أبيها بقسوة، وتتمنى الخلاص منها؛ ليكون ابنها هو الأحق بالمصاريف. فقد رفضت أن تكمل سهى تعليمها كما كانت تتمنى بحجة قلة المال ومن أين لهم أن يتكفلوا بمصاريف الثانوية العامة لها ولأخيها فهى فتاة وستتزوج فى كل الأحوال أما علي فهو رجل بحاجة لشهادته ليتمكن من الحصول على عمل جيد يعيلهم في الكبر خاصة وأن الأب يعمل فران ليس له دخل ثابت.

رضخت سهى لإرادة زوجة أبيها وتقدمت للحصول على شهادة الثانوية التجارية بدلا من الثانوية العامة ووصلت للصف الثاني.

تفتحت زهرة جمالها باكرا فهي ممشوقة القوام، بيضاء البشرة، بعينين خضراوتين تأسران القلوب فأصبحت مطمعا لكثير من شباب المنطقة الشعبية التي يقيمون بها، ومنذ كانت في الرابعة عشر بدأ الخطاب في دق بابها لكن زوجة أبيها تعللت لصغر سنها، وإن كانت الحقيقة أنها لا تستغنى عن خدمتها لها، لكن هذا العام التحق علي بالثانوية العامة ورغم أنه لا يزال بالصف الأول إلا أنها ترى أنه أحق بالمال. وهنا أصبح قرار زواج سهى قيد الدراسة ينتظر فقط الشخص المناسب.

****

خرجت سهى ككل صباح لتتوجه لمدرستها تترقبها عيون أهل الحي من بين محب وحقود.

كان حسن سائق الميكروباص الذي انتقل إلى المنطقة حديثا من أكثر المعجبين بها فكان يخرج باكرا لمراقبتها، سارت كعادتها فهي لا تملك المال للمواصلات يوميا فتفضل التبكير، والسير حين اعترض طريقها شابان لا تنبأ ملامحهما بالخير.

الشاب الأول: صباح القشطة يا عسل على فين يا جميل.

الشاب الثاني: الحق يالا دي وشها أحمر هههههه.

وقف الأول أمامها وقال: لا دا إحنا لازم نتعرف يا قمر.

سهى وقد كادت أن تبكي: من فضلك خليني أعدي.

الشاب الثاني: يالهوي سمعت يالا.

الشاب الأول: أنا قتيلك النهاردة.

بدأت خطواتها تتقهقر للخلف وهي ترتعد من نظراتهما حين أقبل فجأة حسن وهو يمسك عصا غليظة (شومة)، وضرب الأول على ظهره فهجم عليه الشاب الثاني وهو يشهر سلاحا أبيض.

شهقت سهى بفزع بينما أسرع حسن يضرب ذراعه ليسقط السلاح ويعاجله بضربه أخرى نهض الشاب الأول فركله حسن ركلة أسقطته مرة أخرى.

نظر له الشابين بغل وقال أحدهما: على فكرة البت فرسة وتكفينا كلنا مالهاش لزمة الدخلة دي.

استشاط حسن غضبا فأسرع يجذبه من ملابسه ويضربه ضربة قوية برأسه، ولم يمنحه الوقت بل عاجله بأخرى. بدأت الدماء تتدفق من أنف الشاب الذي تركه حسن ليسقط أرضا يتلوى من الألم ليأتي الشاب الآخر، ويحمله ويلوذا بالفرار.

نظر حسن لسهى فوجدها تبكي وترتعد خوفا فأقبل عليها وجذبها من ذراعها نحو سيارته لتقول برجاء: ربنا يخليك سبني أمشي.

تساءل حسن بغضب: إنتي تعرفي العيال دي قبل كده.

أسرعت تجيبه خوفا: لا والله ما أعرفهم دي أول مرة أشوفهم.

نظر لها حسن بغضب وقال: اركبي.

بدأت تبكي وهي ترجوه قائلة: لا والنبي سبني خلاص أنا هروح مش هروح المدرسة بس سبني أنا فى عرضك.

تنهد حسن فقد شعر بخوفها منه وقال: ماتخافيش أنا هوصلك مش هأذيكي .

شعرت بالأمان قليلا فرفعت عينيها بخجل تحاول رفض عرضه: متشكرة أنا بروح مشي.

أمسك ذراعها بشيء من القسوة وهو يقول بغضب: وأنا قلت هوصلك اركبي قلت.

ارتعد قلبها، وهو يفتح الباب المجاور له ويدفعها للداخل، مرت خمس دقائق من الصمت التام حتى قال حسن: أنا اسمي حسن جاركم على فكرة.

نظرت له بخجل وهي تقول: جارنا إزاي أنا معرفكش.

ابتسم لتجاوبها معه وقال: أنا إللي اشتريت البيت إللي في أول الشارع بشوفك كل يوم، وإنت رايحة المدرسة بس بتخرجي بدري أوي سهل أي حد يتعرض لك.

حاولت أن تبرر له تبكيرها فهي لن تستطيع أن تخبره بعدم امتلاكها لأجرة المواصلات فقالت: أصل المدرسة بعيد وأنا بحب أروح مشي.

ليعود إلى الانفعال والغضب وهو يقول: من هنا ورايح مفيش مشي أنا هوصلك كل يوم، نظرت له بتعجب ليتوه في خضرة عينيها الحزينة

كان قلبه يشتعل غضبا يالهذه الحمقاء الصغيرة ترى لو لم يلحق بها ؟؟؟؟؟؟

هز رأسه بعنف لا لا يريد أن يفكر في هذا فهذه الزهرة الرقيقة لن ينالها سواه.

وصل بها للمدرسة فقالت: متشكرة أوي تعبتك.

ابتسم أخيرا وهو ينظر لها لترى وسامته لأول مرة وهو يقول: اتعبيني ومالكيش دعوة.

لم تفهم ما يرمي إليه فهمت بالمغادرة حين قال:سهى

التفتت له بتعجب: أنت تعرف اسمي كمان!

اتسعت ابتسامته وهو يتساءل: أيوه طبعا قولي لي هو والدك فين دلوقتي.

أجابته ببراءة شديدة: بابا في الفرن.

ليتساءل مرة أخرى وكأنه يتمنى ألا ترحل : هو فران صح

عادت تجيبه بعفوية: أيوه بيشتغل في الفرن البلدي إللي على الناصية إللي ورانا.

هز رأسه متفهما وأسرع يقول: طيب أنا هعدي عليكي وإنتي مروحة ما تمشيش لوحدك.

أسرعت هي أيضا ترفض عرضه: لا كتر خيرك أنا بروح مع زمايلي بس باجي الصبح لوحدي، وأسرعت لداخل المدرسة حين أدار سيارته وعاد أدراجه.

****

يعيش حسن مع والدته وشقيقته التي طلقها زوجها وباتت بينهم الكثير من المشاكل فاضطر حسن لبيع منزلهم، وشراء منزل جديد للابتعاد عن المشاكل فطليق شقيقته بلطجي، ولا يعرف عن العقل شيئًا فاضطر حسن تحت إلحاح والدته أن يترك الحي وهو حاليا يشكر الظروف التي أتت به لهنا ليرى هذه الزهرة التي لم يفارقها نداها.

توجه حسن من فوره للفرن حيث يعمل عبد الرحمن والد سهى سأل عنه فأخبروه أن أمامه ساعة من العمل بعد، جلس على مقهى مقابل للفرن فى انتظار خروجه وما أن رآه حتى هب مناديا عليه: عم عبد الرحمن.

توقف عبد الرحمن ونظر إليه: خير يابني فى حاجة.

أسرع حسن يقول برجاء: عاوزك فى كلمتين لو تسمح اقعد معايا خمسة على القهوة.

شعر عبد الرحمن بالخجل فهو لا يملك المال لجلسة المقهى: أنا يابني مابقعدش على قهاوي، لكن حسن أصر بإلحاح: معلش يا عم الحج علشان خاطري خمسة بس.

خجل عبد الرحمن ورضخ له وتقدم من المقهى جلسا متقابلين ليقول حسن: تشرب إيه يا أبا الحج.

هز عبد الرحمن رأسه نفيا وهو يقول: كتر خيرك دا واجب عليا خير عاوزني فى إيه.

بدأ حسن الحديث قائلا: أنا اسمي حسن جاركم اشتريت البيت إللي فى أول الشارع الشهر إللي فات، وقاعد فيه مع أمي وأختي.

ابتسم عبد الرحمن وهو يقول: أهلا يا بني نورت الحتة والله.

بدت الراحة على وجه حسن فيبدو والدها ودودا فقال: الله ينور عليك يا أبا الحج، أنا عندي ميكروباص بتاعي شغال عليه.

لم يفهم عبد الرحمن ما يرمي إليه حسن بعد فقال: ربنا يرزقك ويوسع عليك يا بني.

قرر حسن أخيرا أن يفصح عن رغبته فقال: بصراحة أنا عاوز سهى بنتك طالبها بشرع الله وتحت أمرك فى أي حاجة.

بهت عبد الرحمن لوهلة قبل أن يقول: الأمر لله يابنى بس سهى صغيرة مكملتش ستاشر سنة.

ليقول حسن مسرعا بحماس: خد بس رأيها وكل حاجة ليها حل إن شاء الله.

رضخ عبد الرحمن لطلبه فقال: إللي فيه الخير يقدمه ربنا إديني يومين وأرد عليك

****

في منزل حسن

تصيح زينات (الأم): والله عال يا سي حسن خلاص عدمت أمك تروح تخطب منك لنفسك كده

يحاول حسن أن يهدأ ثورتها قائلا: يا أما أنا بس كلمت الراجل كلام رجالة يعني لكن الإتفاق لازم تحضريه.

لكنها تصر على غضبها فتقول: ولزومة إيه زي ما اتكلمت لوحدك اتفق لوحدك.

يتنهد حسن وهو يقول: يا أما والله ما دخلت بيتهم أنا قابلت الراجل على القهوة، قلت أخد منه ربط كلام لكن إنت خدي هبة وروحوا شوفوها، والله هتحبيها دي زي النسمة.

تحاول هبة تهدئة الموقف فتقول: خلاص بقى يا أما نروح نشوفها، وبعدين نتكلم.

تفصح زينات عن مكنون قلبها الحقيقي فتقول: ومالهم بنات إخواتي فيهم إيه يتعيب.

ليقول حسن بحزم: تاني يا أما إللي نعيده نزيده بصراحة بقى يا دي يا مش هتجوز خالص.

تزداد حيرة هبة بينهما فتقول له: وحد الله بس يا حسن أنا هاخد أمك ونروح نشوفها، وإللي فيه الخير يقدمه ربنا يا حبيبي.

خرج حسن غاضبا فقالت زينات: نشوف مين يا موكوسة إنت؛ بقى يسيب بنات إخواتى ويجيب لنا واحدة لا نعرف لها أصل ولا فصل.

فقالت هبة برجاء: الله يهديكي يا أما بيحبها جوزيها له خليه يتهنى يا أما حسن من صغره شايل الهم.

مصمصت زينات شفتيها بعدم رضا

****

في منزل عبد الرحمن

استيقظ من نومه فنادى زوجته: يا أم علي تعالي عاوزك في كلمتين

أقبلت أم علي: نعمين يا أخويا

تساءل عن ابنته أولا: هي سهى رجعت من المدرسة.

لترد أم على بحنق: آه يا خويا رجعت من بدري إشمعنا يعني

أجابها بشيء من الكآبة: البت جالها عريس ابن حلال ومستور.

نظرت له بتعجب وهي تقول: وده منين بقى لو من الحتة يبقى كحيتي

أسرع يطفأ شغفها للاستعلام عن العريس: من الحتة بس مش كحيتي عارفة الجماعة إللي اشتروا البيت في أول الشارع.

أم علي وقد لمعت عيناها: آه دا بيت ملك وكمان ابنهم شغال على ميكروباص.

أسرع يزيدها إحاطة بالأمر: لا دا بتاعه مش شغال عليه.

ظهرت السعادة على وجهها فورا: طب ومالـه ما هو كويس أهو يا خويا نجوزها البنات مالهاش إلا السترة.

تنهد بحزن: بس البت صغيرة

أسرعت تحاول تغيير موقفه: ياخويا ولا صغيرة ولا حاجة دي داخلة على ستاشر سنة يعني تتجوز وتخلف كمان.

تساءل في حيرة: إنت رأيك كده.

لتسرع تؤكد على أفكارها :أيوه طبعا.

يرضخ لها كعادته فيقول: طب إبعتيها لي وروحي إنت.

***

-2-

دخلت سهى على والدها وقالت بخجل: نعم يا أبا.

ابتسم لها بحنان وهو يشير لجواره: تعالي يا سهى عاوزك في كلمتين.

جلست بجوار والدها الذي ربت على ظهرها بحنان وقال: إنت تعرفي الناس إللي واخدين البيت فى أول الشارع.

أخفضت رأسها وهي تتذكر حسن وما أقدم عليه لأجلها ثم قالت: النهاردة يا أبا حصل حاجه لازم تعرفها.

سألها بهدوء: حصل إيه يا سهى.

قصت سهى على والدها شهامة حسن معها، ودفاعه عنها فصمت الأب قليلا ثم قال: وهو جالي النهاردة طلبك مني.

لم تفهم مقصد والدها فهي المرة الأولى التي يعرض عليها أمر الزواج: طلبني إزاي يعني يا أبا؟

ابتسم بشدة براءتها وقال: يعني خطبك يا عروسة.

تورد وجهها خجلا وقالت بصوت متقطع: خطبني أنا يا أبا.

ضحك والدها وقال ممازحا: لأ خطبني أنا إنت مستكترة الفرحة على نفسك ولا إيه.

أخفضت رأسها ولم ترد فقال الأب: ها قولتي إيه؟

لترد سهى باستسلام: هقول إيه هو أنا ليا كلمة بعد كلمتك يا أبا إللي تقول عليه يمشي على رقبتي.

ربت أبوها على رأسها وقال: خلاص أنا هسأل عليه وإللي فيه الخير يقدمه ربنا.

ظهرت الكآبة بصوتها وهي تتساءل: طب والمدرسة يا أبا؟؟

أوضح الأب عدم أهمية الموضوع حين قال: يا ستي يحلها ربنا ماهي مدرسة كلشن كان.

ثم أخفض رأسه بحزن وقال: ياما كان نفسي أعلمك لما تدخلي الجامعة لكن على يدك يا بنتي العين بصيرة واليد قصيرة.

تحاول أن ترفع عنه الهم فتقول مسرعة: ياأبا ما تقولش كده كل شيء قسمة ونصيب.

عاد يربت عليها بحنان وهو يقول: ربنا يكملك بعقلك يا بنتي.

****

في منزل حسن حيث تحاول هبة إقناع زينات برؤية سهى لكن يبدو أن زينات تصر على موقفها العدائي من الفتاة دون حتى أن تراها.

تتنهد هبة وتقول برجاء: يا أما الله يهديكي الناس مستنينا يقولوا علينا إيه.

تنظر لها زينات بغضب وتقول بعند لا مبرر له: وكان حد قالك اتفقي على ميعاد أنا كارهه البت دي من قبل ماأشوفها.

تحاول هبة استعطاف أمها قائلة: يعني يا أما يهون عليكي حسن ابنك تكسري قلبه.

لكن زينات ليست من النوع الذي يرق قلبه لكنها تقول متظاهرة بالرق: أيوه امسكيني من إيدي إللي بتوجعني .

تبتسم هبة وقد لاح لها الأمل في إقناع زينات: والله أنا عارفة إن قلبك أبيض، ومش هيهون عليكي أبو علي تكسري قلبه.

تقرر زينات أنه لا مفر من رؤية الفتاة فستجد حتما سببا تدعيه لرفض هذه الزيجة: طب قومي يأختي قومي هاتي أي عباية أما نروح نشوف ست الحسن.

أسرعت هبة تلبي طلبها قبل أن تعدل عن رأيها مرة أخرى.

وصلت هبة وأمها لمنزل عبد الرحمن لتقابلهما (إعتمادأم علي) بحفاوة كبيرة، تبتسم بسعادة غامرة لهذه الزيارة وتبالغ في الترحيب قائلة: يا أهلا وسهلا دا البيت فج نوره.

لتجيبها زينات من تحت الضرس: منور بأصحابه يا حبيبتي وإنت يأختي أم المحروسة.

لم تشعر بأي حرج بل قالت ببساطة: الحقيقة أنا مرات أبوها بس مربياها زي بنتي تمام.

تبدأ زينات بطرح الأسئلة فورا علها تجد بين الإجابات ما يسيء للفتاة: واسم النبي حارسها على كده تعرف تنضف وتطبخ؟؟

تسرع إعتماد تجيب وهي ترى ما ترمي إليه زينات: أمال إيه دي عليها نفس في الطبيخ إنما إيه ولا أحسنها طباخ.

تحاول هبة إصلاح الوضع الذي تسعى أمها لإفساده فتسرع قائلة: وبعدين يا أما إللي ماتعرفوش نعلمها ما هي لسه صغيرة.

تسعد إعتماد بحديث هبة وترى فيها حليفا جيدا ستساعد حتما لإتمام هذا الزواج فتقول: الله ينور عليكي يا شابة وإنت يا حبيبتي متجوزة؟

أخفضت هبة رأسها بحزن بينما قالت زينات: إللهي ينشك في قلبه مطرح ماهو قاعد لمناه وعملناه راجل، وأول ما شد عوده غدر بيها وطلقها.

إنها فرصة رائعة لإعتماد عليها حسن استغلالها لكسب مودة زينات فتسرع قائلة بنفاق شديد: إخص عليه راجل دون حد يسيب القمر ده، والنبي لا بكرة تاخدي سيد سيده.

زينات استساغت الحوار فتجيب بأريحية: والنبي بقولها كده.

تسرع إعتماد بنفس النفاق توجه حديثها لهبة: لا يا حبيبتي اسمعي كلام الست والدتك دي ماشاء الله عقلها يوزن بلد.

تسارع هبة لتغير مجرى الحديث: جرى إيه يا خالتي مش هنشوف عروستنا الحلوة ولا إيه.

تنهض عن مقعدها فورا وتقول أثناء توجهها للخارج: حالا يا حبيبتي أجيبها وأجي.

دقائق معدودة، و دخلت سهى بصحبة إعتماد بخجل تدفعها زوجة أبيها دفعا للأمام هبت هبة تحتضنها وهي تقول: بسم الله ماشاء الله تبارك الله قمر صح يا أما.

نظرت لها زينات بغل من جمالها الأخاذ فلابد أن هذا الجمال قد تملك من قلب ابنها، ويصعب عليها إفشال الزواج فقد ذهب هدفها من الزيارة أدراج الرياح.

دفعت إعتماد سهى للأمام بإتجاه زينات وهي تقول: سلمي يا مقصوفة الرقبة على خالتك وبوسي إيدها.

زينات وهي تلوي وجهها بعيدا عن سهى: مفيش داعي إزيك يا حبيبتي.

تجيب سهى بخجل: الله يسلمك.

تنظر زينات لهبة بحزم وتقول: هبة خدي اسم النبي حارسها وسيبوني مع خالتك شوية.

تنهض هبة بسعادة وتقول لسهى: تعالي يا قمر إنت نقعد نحكي بره

شعرت سهى بالألفة تجاه هبة فقالت: تعالي نقعد في أوضتي

وغادرت الفتاتان لتلتفت زينات إلى إعتماد وقد قررت إن كانت هذه الزيجة ستتم فلتتم بشروطها هي فتقول: شوفي بقى يا حبيبتي علشان نبقى على نور من أولها، أنا ابني قاعد معايا يعني إللي هيتجوزها هتيجي تخدمني مش هتنام فى شقتها، وتستنى الخدامين يخدموها، لم يصر الحديث أي حفيظة لدى إعتماد فهي بكل الأحوال لا تتمنى لسهى خيرا فقالت: دي لا عاشت ولا كانت دا أنا أجيبها خدامة تحت رجليكي إحنا معندناش بنات تعرف الدلع والمسخرة.

تنظر لها زينات فترى أنه عليها وضع المزيد من القيود فتقول: آه وأكلها وشربها عندي وإن حبت تاخد حاجة لازم تستأذني الأول.

تجاوبها إعتماد قائلة: يا ست الكل ده كلام معروف هي تستجري تمد إيدها على حاجة إلا بأمرك.

تصمت لحظة ثم تقول بحرج: إحممم بس أنا كنت عاوزة أتكلم معاكي في حاجة مهمة.

تنظر زينات بتعالي وتقول: اتكلمي يا حبيبتي وماله.

تصمت إعتماد لحظة ثم تقول: بالنسبة للجهاز يعني إنت شايفة الحالة.

اسكتتها زينات بحركة من يدها فهي فرصتها لتتعالى وتتحكم وقالت: إحنا ما يهمناش الجهاز يا حبيبتي إحنا مش فقرا، وحسن ابني قد الدنيا بس بردوا قصاد كده مش هنكتب مؤخر، ولا هنجيب دهب هم دبلتين، وخلاص وناخدها بشنطة هدومها وكده كده الشقة كاملة من مجاميعه.

تشعر إعتماد بسعادة وراحة فقد أزاحت عنها هما كبيرا. فقالت: عداكي العيب يأختي.

تعود زينات لإملاء شروطها وتقول: المهم ابني مستعجل وعاوز يدخل علطول وإحنا جاهزين يناسبكم كمان أسبوعين.

مزيد من الراحة تشعر بها إعتماد، وهي لا تصدق أنها ستتخلص أخيرا من سهى التي تعتبرها شبح غريمتها فتقول مسرعة: أبوها كان عاوزها تكمل السنة دي بس أنا هقنعه وإللي تقولي عليه هيمشي.

لتقول زينات بتعالي: طب إندهي لهبة يا حبيبتي علشان نروح.

****

في منزل حسن

ينتفض حسن بسعادة غامرة ويتجه نحو أمه متسائلا: بجد يا أما يعني وافقوا خلاص؟

تنظر له بغيظ من سعادته وتقول: طبعا وافقوا هم كانوا يحلموا بعريس أبهه زيك.

قبل رأسها بسعادة غامرة وعاد يتساءل: طب اتفقتي معاهم على إيه؟

لوت فمها بسخرية وقالت: لقيتهم غلابة خالص ميقدروش يجهزوها.

لكن حب حسن لسهى عاد يصدمها وهو يقول: وماله يا أما خدوهم فقرا يغنيكوا ربنا.

لتنظر له زينات وهي تقول بغيظ مكتوم: ما أنا قلت كده قلت لهم ناخدها بشنطة هدومها.

تنهد حسن براحة: عداكي العيب يا أما.

وهنا جاء موعد الصدمة التي ألقتها زينات ببساطة وتعالي: بس لا هنجيب دهب ولا هنكتب مؤخر.

انتفض حسن وهو لا يصدق ما تفوهت به أمه توا: إيه بتقولي إيه يا أما إزاي يعني ناخدها بلوشي نأكل حقوقها.

لتنظر له بغضب ويعلو صوتها وهي تقول بحزم: ماهو اسمع أما أقولك أنا جيت على نفسي ورحت خطبت لك حبيبة القلب، لكن تكسر كلمتي والله ما تخش بيتي، ولا تتسمى لك حرمة.

يتعجب حسن من موقف أمه ويقول: إزاي بس يا أما إنت ترضيها على هبة.

لتصدمه مرة أخرى بقسوة: أنا إللي عندي قلته يا كده يا بلاها الجوازة النحس دي، وأسرعت لغرفتها بغضب.

وقفت هبة وربتت على كتف أخيها بحنان وقالت: ماتزعلش نفسك يا أبو علي.

نظر حسن لها بقهر وهو يقول: مش سامعة كلام أمك يا هبة.

تقترب هبة من أخيها وتهمس: من الآخر أمك نفسها تبوظ الجوازة علشان تاخد من بنات إخواتها ما تديهاش فرصة.

فيقول حسن بحيرة: يعني يرضي ربنا كده أخدها بلوشي أبص في وش أبوها إزاي يعني.

تعود هبة لتهمس له قائلة: يا سيدي طاوع أمك وقول لها حاضر وهي حلفت عليك إنت إللي إنت عاوز تجيبه إديني أنا أجيبه وأديه لسهى من برا برا، وريح أمك علشان البت ماتروحش من إيدك مش هتلاقي زيها يا حسن.

يظهر حبه بعينيه وصوته وهو يقول: آه شوفتيها يا هبة

تبتسم هبة وهى تقول: إلا شوفتها وقعدت معاها واتكلمت معاها لما شبعنا كلام .. دي حتة سكرة.

ربتت على كتفه وهي تقول بحنان: ربنا يهنيك يا حسن.

ضمها أخوها وهو يقول: مش عارف من غيرك كنت هعمل إيه يا هبة؟

طب تعالي أديكي تلت تلاف جنية بكرة تاخدي سهى وتجيبي لها إللي نفسها فيه.

****

في منزل عبد الرحمن

ينظر عبد الرحمن لإعتماد بحزن ويقول: كلام إيه ده يا أم علي يعني لو كانت بنتك كنتي رضيتي تجوزيها من غير دهب ولا مؤخر.

تحاول إعتماد كبت غضبها فهي لا تريد أن يتطور الأمر لمشاجرة قبل أن تطمئن على إزاحة سهى من المنزل بشكل نهائي فتقول بمسكنة: بقى دي آخرتها يا عبده بقى ده جزاتي إني عايزة أسترها الناس هياخدوها بشنطة هدومها يبقى حقهم مايكتبوش مؤخر.

نظر لها عبد الرحمن فأردفت: ومن إمتى يعنى بنتك بتلبس دهب كفاية إنها هتقعد في بيت ملك

طويل عريض وهي وشطارتها لما تدخل تاخد حباب عنيه

يهز رأسه بأسف وهو ينظر لها كأنها لا تعلم عمن تتحدث ويقول: إنت بتتكلمي عن سهى إللي مبتعرفش تقول كلمتين على بعض

تسرع فتبدي له حسن نيتها وهي تقول: وهي هتفضل كده بكرة تتفطن وتبقى عال وأنا مش هسبها بردو وافق يا عبد الرحمن الله يرضى عليك هتلاقي مين ابن حلال تاني يسترها وما يطلبش شيء وشويات

ينظر لها عبد الرحمن ولسان حاله يلعن الفقر الذي يدفعه لتزويج ابنته بهذه الطريقة فيقول باستسلام: خلاص أما أبقى أشوفه بكرة يحلها ربنا

****

في الصباح الباكر طرق حسن باب عبد الرحمن بينما كان الأخير في طريقه للخارج فقال بحرج وهو لا يدري سبب هذه الزيارة الباكرة: لامؤاخذة يابني أنا رايح الفرن مقدرش أقولك اتفضل

يومأ حسن برأسه متفهما ويقول بهدوء: ولا يهمك يا أبا الحج أنا بس بستأذنك إن هبة أختي هتعدي على سهى في المدرسة وتاخدها تشتري لها شوية حاجات.

يسير حسن يرافق عبد الرحمن الذي يقول بعتاب: حاجات إيه يا ابني الست والدتك كلامها ما يرضيش حد أبدا

يحاول حسن تبرير الموقف كما فعلت شقيقته بشيء من الحكمة فيقول: معلش يا أبا الحج ست كبيرة، واتحكمت لكن ليك عليا أول ما سهى تدخل عندي أجيب لها الدهب إللي تستاهله ولو تحب أكتب لك ورقة بكده،

ينظر له عبد الرحمن فيتلمس صدقه ليقول له: لا يابني ورقة إيه إنت شكلك شاري بنتي أنا مش عايز غير راحتها

***

-3-

شعر عبد الرحمن بأن حسن هو نعم الزوج الذي يتمناه لابنته فوافق على زواجه منها مع وعد من حسن باستكمال سهى دراستها الثانوية وبعد يومين اصطحب حسن سهى لشراء الدبل، وصحبتهما إعتماد لكن لم يتم اليوم كما تمنى حسن فقد كان يخطط أن يصحب سهى بعد شراء الدبل إلى أحد المطاعم لقضاء بعض الوقت بصحبتها، ولكنه فوجئ باتصال من والدته هدم كل مخططاته...

يجيب حسن الاتصال متذمرا وهو يقول: نعم يا أما هو أنا لحقت.

لكنه يفاجأ ببكاء أمه ونحيبها فينتفض قلبه ويتساءل بفزع: مالك يا أما حصل إيه؟

لتجيب زينات بعويل: الحقني يا حسن يا حبيبي يا أخويا.

يتساءل حسن بفزع مرة أخرى: في إيه يا أما؟

زينات بصراخ: خالك مات يا حسن أخويا مات وسابني سبتني لمين يا أخويا

يتنهد حسن بحزن ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وحدي الله يا أما أنا جايلك أهو مسافة السكة.

لكن يبدو أن حتى حزنها لفقد أخيها لم ينسيها كرهها لتلك المسكينة فتقول: لا ماتجيش على هنا سيب مقصوفة الرقبة وش النحس دي، وروح على بيت خالك أنا هاخد هبة ونتصرف.

وأغلقت الهاتف دون أن تعطيه فرصة ليعترض.

تشعر إعتماد بالقلق وتتساءل فورا: خير يابني حصل إيه؟

نظر حسن لسهى بحزن وقال: خالي اتوفى

تضرب إعتماد على صدرها بفزع: يالهوي البقاء لله يا بني طب روح يا بني وإحنا هنتصرف

لم يرفع عينيه عنها وهو يقول: أنا آسف يا سهى ماتزعليش.

تجيب سهى ببراءة بالغة: لا مش زعلانة

وانصرف حسن من فوره بعد إلقاء التحية بينما وكزتها إعتماد وقالت: ياخرابي طوبة هو ده إللي قدرك عليه ربنا يأختي قوليله البقاء لله حتى قال أنا مش زعلانة أقطع دراعي إن ماكانت الحربايه أمه بتقول عليكي نحس وتفركش الجوازة.

تتساءل سهى بطيبة وبراءة: طب وأنا ذنبي إيه بس؟

دفعتها إعتماد للأمام وهي تقول: قدامي يا قدم السعد قدامي يأختي

لتسير معها سهى بصمت وهي لا تدري ماذا يخبأ لها القدر بعد؟

****

بعد انتهاء أيام العزاء في منزل حسن

ينظر حسن لأمه ويقول: أنا يا أما هعدي على عم عبد الرحمن، واتفق معاه نأجل لبعد الأربعين

بينما تجيبه وهي تدعي الطيبة التي لا تليق بها فتقول: لا يا حبيبي ميهونش عليا أكسر فرحتك اتجوز في معادك يا حسن بس متعملش فرح

يتعجب حسن من موقفها: كلام إيه إللي بتقوليه ده يا أما نهضم حق البت من كل ناحية حتى الفرح لا نأجل لبعد الأربعين ونعمل فرح.

لتتخلى عن قناع الطيبة وهي تصيح: فرح إيه إللي هتعمله بعد الأربعين لا يا حبيبي عاوز تعمل فرح تستنى بعد السنوية

ينظر لها حسن بفزع فهي تحاول بأقصى جهدها لعدم إتمام الزواج: إيه سنة بحالها حرام عليكي يا أما هو أنا مش ابنك؟

تخشى زينات أن تخسر ابنها فتسرع قائلة: لا ابني ونور عيني وعلشان خاطرك رضيت إن وش النحس دي تدخل بيتي لو مكنتش واقع على بوزك والله لكنت مفركشة الجوازة دي قصفت عمر خالك في يومين.

تتسع عينا حسن بصدمة وهو يقول: يا أما حرام عليكي خالي عيان أصلا بقى له خمس سنين

تحاول تبرير وجهة نظرها الغير منطقية بالمرة وهي تقول: أديك قلتها بعضمة لسانك عيان بقى له خمس سنين ما ماتش إلا أما خطبتها.

يتنهد حسن فقد سأم مراوغات أمه فيقول بضجر: يعني إيه يا أما من الآخر؟

لتقول بقسوة شديدة لا تدعو للتعجب فهو أعلم الناس بأمه: يعني يا تتجوز في ميعادك من غير فرح يا تستنى سنة ويا عالم يحصل إيه؟

انتفض حسن وتوجه لخارج المنزل بدلا من المشاجرة معها

****

كان حسن متوجها للخارج حين سمع نداء باسمه فالتفت ليجد عبد الرحمن متجها إليه فأقبل عليه مرحبا ليتساءل عبد الرحمن: إزيك يا بني والوالدة عاملة إيه دلوقتي؟

يتعجب حسن من نفوس البشر فبينما تسعى أمه لسلب سهى كل حقوقها يسأل عنها عبد الرحمن بمودة، إن فتاة نشأت بمنزل هذا الرجل هي كنز لابد أن يحصل عليه فيقول حسن بود كبير: الحمد لله يا أبا الحج.

يسارع عبد الرحمن بالحديث فيقول: يابني أنا عارف الظروف فبقولك نأجل الفرح مايحصلش حاجة علشان خاطر الست والدتك

يشعر حسن باضطراب فكأن الرجل قرأ أفكاره فقال: لا ما هي موافقة ندخل في معادنا بس منعملش فرح ودوشة يعني

فيقول عبد الرحمن ببساطة: وإيه لزومه يابني مانستنى بعد الأربعين وخلاص.

يخفض حسن رأسه بحزن وهو يقول: لا ما إحنا لو هنأجل هنأجل سنة وأنا بصراحة مقدرش استنى سنة أنا عاوز سهى في بيتي النهاردة قبل بكرة.

يشعر عبد الرحمن بالحيرة فيقول: والله يا بني ما عارف أقولك إيه آشور صاحبة الأمر وأرد عليك الصبح.

****

حاولت سهى أن تعترض لكن إعتماد لم تمنحها فرصة لذلك، وتقرر زفاف سهى بدون فرح

وكم سعد حسن بهذا الخبر فكل يوم يقربه من حبيبته ليبدأ فورا في الإعداد لعقد القران.

توجه حسن لمأذون الحي ليتفق معه على عقد القران إلا أن المأذون الشرعي بمجرد أن علم بعمر سهى رفض تماما، وأخبر حسن أن العقد قبل الثامنة عشر يعتبر جريمة ولا يمكن أن يعقد لهما هو أو غيره.

جلس حسن على أحد المقاهي حزينا حين أقبل عليه أحد أصدقائه ويدعى علاء الذي يتساءل: إيه يا عم حسن مالك شايل طاجن ستك ليه؟

ينظر له حسن بحزن وهو يقول: سبني في حالي الله يرضى عليك

يجذب علاء مقعدا ويجلس قبالته وهو يقول: الله دا موضوع كبير بقى طب ما تحكي لي يمكن أحل لك مشكلتك.

ينظر له حسن وهو يقول ساخرا: تحلها إزاي يا أبو العريف تقدر تجيب مأذون يرضى يكتب لعروسة مكملتش ستاشر سنة.

ضحك علاء وهو يخرج إحدى سجائره اللعينة ويقوم بإشعالها وهو يقول: بس كده هي دي مشكلتك بس شكلك واقع يا أبو علي.

يتنهد حسن ويقول: واقع ومتنيل وسبني في حالي بقى قال مرضتش أستنى سنة لما خالي مات أديني هستنى سنتين.

ينظر له علاء بخبث وهو ينفث دخان كثيف: ولا تستنى ولا حاجة اكتب عرفي

انتفض حسن فزعا لمجرد الفكرة: إنت اتجننت يا علاء عاوزني أروح لأبوها أقوله جوزني بنتك عرفي

ينظر له علاء بجدية: والله كل الناس بتعمل كده دلوقتي من ساعة القانون المهبب إللي حدد سن الجواز.

هز حسن رأسه بحيرة: لا يا عم مقدرش أقولها للراجل.

يبدأ علاء في طرح فكرته فيقول: يا عم لا تقول ولا تعيد أنا هخدك لواحد محامي تأبجة خمس ورقات يجي معاك ومش هيخرج إلا والبت على ذمتك.

مجرد أن ظهر أمل جديد لإتمام الزواج عادت البشاشة لوجه حسن وهو يتساءل: بجد يا علاء!

يحاول علاء أن يظهر حسن النية وأنه يسعى لمصلحة حسن فيقول: آه طبعا بس بقولك إيه لازم تشترى للبت حتتين دهب تدخل بيهم علشان يعرفوا إنك شاري ما بتلعبش بيها.

تنهد حسن بأسف: أمي حالفة عليا لو جبت لها دهب ما تدخل بيتها ولا تتسمى لي حرمة

ضحك علاء بشدة وهو يقول: إيه ده يا عم هي أمك داخلة على البت جامد كده ليه، طب اسمع ليها حل بردوا اديني الفلوس وتعالى معايا نقي وأنا أدفع وأشيل الحاجة لما أسلمها لأبوها في إيده وهو يلبسها لها.

نهض حسن بحماس وهو يقول: طب يلا يا علاء مستني إيه؟

وبعد ساعة واحدة كان حسن يدخل لمنزل عبد الرحمن بصحبة علاء والمحامي وبعد ساعة أخرى كان عبد الرحمن يوقع عقد الزواج العرفي

نظر عبد الرحمن للمحامي نظرة أخيرة وتساءل: يعني يا أستاذ حضرتك متأكد إن ده حلال؟

يسرع المحامي قائلا: طبعا يا حج هي بس الحكومة لما ضيقت على الناس وحددوا سن الجواز كل الناس بقت تعمل كده جواز البنات سترة يا حج حد يقول لستر ربنا لأ

أسرعت إعتماد تؤيد الحديث قائلة: لا يأخويا هنرفض النعمة عداك العيب يادي الأستاذ.

نظر حسن لعبد الرحمن وقال بصدق: وأنا يا أبا والله هشيل سهى في عنيا ويوم ما تتم تمنتاشر أعقد عليها عند المأذون.

كان علاء منذ دخوله ينظر لسهى نظرات متفحصة وهو يحقد على حسن الذي سيحظى بكل هذا الجمال، وبعد كتابة العقد قدم العلبة لعبد الرحمن قائلا: اتفضل يا حج جوزغوايش لبسهم للعروسة.

جحظت عينا إعتماد بينما قال عبد الرحمن بلوم موجها حديثه لحسن: ليه يابني وقعت يمين الوالدة.

أسرع حسن يقول دون أن يرفع عينيه عن سهى: ماوقعتوش يا أبا الحج علاء إللي اشترى ودفع وأنا حاسبته، وبعدين دي مش قيمة سهى دا أنا لو عليا أكسيها دهب من ساسها لرأسها بعد إذنك بس أعدي بكرة أخدها أجيبلها فستان للدخلة.

أخفضت سهى رأسها خجلا بينما قالت إعتماد بتعجب: إنت هتجيب لها فستان؟!!!

ليخفض حسن رأسه خجلا وهو يقول: على عيني إني ماجيبلهاش أحلى فستان لأحلى عروسة بس الظروف حكمت هأجيب لها فستان أبيض حلو بس مش فستان فرح وبعد بكرة أخدها نتصور في أحلى إستديو وأعمل لك أكبر زفة بس لما نقرب من هنا هندخل لوحدنا.

ليقول عبد الرحمن متفهما للظروف: عداك العيب يابني لازم تراعي خاطر والدتك علشان ربنا يكرمكم.

وخرج حسن من بيت عبد الرحمن وهو يكاد يطير فرحا فقريبا ستصير هذه الزهرة المتفتحة ببيته، له وحده يستنشق عبيرها ويتمتع بشذاها

****

دلف حسن لمنزله فوجد أمه وأخته تجلسان في صمت كالعادة فنظر لأخته وقال: إحممم بقولك يا هبة:

نظرت له هبة وقالت بهدوءها المعهود: نعم يا حسن

وجه حديثه لها دون الالتفات لأمه فقال: كنت عاوزك تشوفي واحدة تنضف الشقة فوق علشان أجيب سهى بعد بكرة

بدت السعادة على وجه هبة وهي تقول: صحيح يا حسن هتجوز بعد بكرة؟

لتقاطعه أمه وهي تتساءل بغضب: وهتكتب فين إن شاء الله؟

نظر لأخته أولا ووجه حديثه لها: أيوه يا هبة سهى جاية بعد بكرة خلاص وإحنا كتبنا الليلة يا أما

قالها دون أن ينظر لأمه بينما صاحت بغضب: يا ليلتك إللي مش فايته كتبت إزاي من غير ما أمك تعرف؟

تنهد حسن وهو يقول: كتبنا عرفي يا أما عرفي عند المحامي

ضربت زينات على صدرها وهي بتقول: يالهوى يا حسن عرفي!! ليه ناقصك إيه علشان تتجوز عرفي

ليقول حسن بقلة حيلة: هنعمل إيه يعني المأذون ما رضيش قال صغيرة أهو لما تتم تمنتاشر أعقد عليها عند المأذون.

يبدو جهلها من حديثها وهي تقول: واشمعنا ما كنت شفت غيره

انتفض واقفا قائلا بضجر: ده قانون يا أما قانون تصبحوا على خير.

توجه لغرفته حين أوقفته أمه بحزم: حسن أوعى تكون هتلبسها فستان الفرح.

نظر لها بحزن وقال: ماتخافيش يا أما مش هلبسها

وانصرف بقلب حزين

***

-4-

قضى حسن اليوم التالي بصحبة سهى بالخارج بعيدا عن الجميع وقد شعر ببعض الراحة لكونها أصبحت زوجته لكن قلبه لن يطمأن حتى تصير ببيته

اشترى لها العديد والعديد من الأشياء وتناولوا الغداء بأحد المطاعم الراقية لم يبالي بما يدفع من مال بل كانت ابتسامتها السعيدة هي هدفه الوحيد

وانقضى اليوم بسعادة لكليهما

****

فى اليوم التالي ... وهو يوم الزفاف توجهت إعتماد باكرا لتوصيل ملابس العروس لبيت زوجها، وانبهرت بجمال الشقة التي ستتزوج بها سهى وأكلت الغيرة قلبها لتعود من هناك أشد كرها لسهى عن ذي قبل، ودخلت عليها حين كانت تستعد بصحبة المصففة التي استأجرها حسن؛ لإعداد عروسته فقالت بغيظ: لامؤاخذة يا شابة سبيني مع البنية أقولها كلمتين.

خرجت المصففة فالتفتت لسهى وقالت وهي تحاول أن تخفي حقدها: اسمعي بقى يأختي إنتي من ساعة ما تدخلي مع جوزك تسمعي كل كلمة يقولها مفيش حاجه اسمها عيب ومكسوفة بلاش دلع حماتك مش طيقاكي من غير حاجة

لم تفهم سهى ما قالته إعتماد فحاولت أن تستوضح أكثر وهي تتساءل: طب أعمل إيه يعني؟

مصمصت إعتماد شفتيها بغل وقالت: قال يعني مش عارفة بنات آخر زمن اسمعي الكلام يا مقصوفة الرقبة ماتوجعيش قلبي إللي يقولك عليه تعمليه من سكات فاهمة ولا مش فاهمة.

نظرت لها سهى فهي تزيد مخاوفها ليس إلا ثم قالت بصوت مرتجف: حاضر

****

حضر حسن مساءً ليصحب سهى وعائلتها وأصدقاءها توجهوا جميعا إلى الأستوديو ثم بدأت الزفة التى تكونت من أسطول من السيارات التي جاء أصحابها مجاملة لحسن وبعد فترة قرر حسن العودة للمنزل.

دخلوا إلى الحي بصمت إكراما لخاطر أم حسن مكلومة القلب، وعند باب المنزل ودع عبد الرحمن ابنته وهو يتمنى لها السعادة ويوصي زوجها بها خيرا.

صعدت سهى بصحبة حسن الذي توقف أمام شقة والدته وتألم قلبه فهي لم تكلف نفسها العناء وتفتح الباب للترحيب بزوجته فنظر لها وقال: يلا شقتنا فوق.

بينما كانت أمه تجلس بالردهة وأخته تقول لها برجاء: يا أما حرام عليكي طب حتى افتحي الباب ...باركي لابنك

نظرت لها زينات شزرا فقالت هبة بخيبة أمل: إللي يريحك اعمليه يا أما أنا هابارك لأخويا.

فتحت هبة الباب حين أولى حسن ظهره واتجه صعودا فقالت بلهفة: حسن

تهللت أسارير حسن وهو يعود لتضمه أخته بحنان وتربت على أكتافه بكفيها: ربنا يسعدك يا حبيبي.

وضمت سهى وقالت بحب: نورتي بتنا يا ست العرايس

شعرت سهى ببعض الراحة لرؤية هبة فقالت بصدق: الله ينور عليكي يا هبة كنت هزعل أوي لو ماشفتكيش.

ابتسمت هبة لها وربتت على خدها بحنان وهي تقول: وأنا أقدر على زعل القمر بردوا، يلا حبيبتي اطلعي مع جوزك، وأنا مجهزة عشاكم فوق على السفرة

شد حسن على كف شقيقته وهو يقول: ما أتحرمش منك أبدا يا هبة.

وصعد حسن وسهى ترافقهما دعوات هبة المكللة بالسعادة

****

فتح حسن الباب وتراجع لتتقدم سهى وهو يقول: سمي وادخلي برجلك اليمين يا عروسة

دق قلبها بعنف وهي تسمى الله وتخطوا أولى خطواتها في هذا المنزل الغريب الذى أصبح منزلها.

دخل حسن فأمسك بيدها لتتجول معه بأرجاء الشقة لتتعرف عليها تاركا غرفة النوم للنهاية.

فتح لها الباب وهو يقول هامسا: ودي أوضتك يا حبيبتي

أخفضت رأسها فقال مشجعا: ادخلي يا سهى

دخلت بهدوء ولم ترفع عينيها عن الأرض مد يده فرفع وجهها لينظر بعينيها الساحرتين ويقول بهيام: ياه وأخيرا يا سهى .

فك حجابها ليلقيه أرضا ضمها لصدره بحنان شعر بجسده يزداد حرارة ابتعد ليخلع عنه الجاكيت ويلقيه أرضا و حملها للفراش وهو يقبلها بشغف

****

فتح حسن باب الغرفة بعد دقائق وعلى وجهه علامات الذعر واندفع يعدوا حافي القدمين لشقة والدته طرق الباب بقوة فانتفضت هبة وهي تقول: سترك يا رب

وأسرعت تفتح الباب لتشهق بصدمة وهى ترى حسن بشعره المشعث وقميصه الذى فتح لآخره وكأنه ارتداه للتو فقالت بهلع: يا لهوي في إيه يا حسن

لكن فزع حسن كان أكبر وقد اتسعت عيناه بشدة وهو يقول برجاء: الحقيني يا هبة سهى قاطعة النفس.

أسرعت تعدوا للأعلى وهي تقول: سترك يا رب عملت إيه فيها يا حسن.

بينما تمتمت زينات الجالسة ببرود: يلا يكش تفرفر وأخلص منها البومة دي .

وصلت هبة للشقة وهي تلهث وحسن يعدو خلفها توجهت من فورها لغرفة النوم كانت سهى ممددة على الفراش بلا حراك ووجه بشحوب الموت

ضربت هبة على صدرها وهي تنظر لأخيها بلوم قائلة: البت لون الميتين عملت إيه فى البت يا حسن؟

أسرع حسن ينفي ظنونها السيئة وهو يقول: والله ما عملت حاجة يا هبة معرفش جرى لها إيه.

تلفتت حولها لتمسك أحد زجاجات العطور وتبدأ في محاولة إفاقة سهى وحسن يمسك كفها المرتخى ويدلكه بقوة وبعد دقائق صدرت عنها أهه خافتة وبدأت تفتح عينيها ببطء.

نظرت لحسن الذي يمسك بكفها ولشعره المشعث وقميصه المفتوح ليعلو صوت تنفسها يعبر عن خوفها منه بينما ضربتها هبة على وجهها برفق فنظرت إليها، فكأنها انتشلتها من الضياع فهبت ترتمى بين ذراعيها، وهي تخفي وجهها عن حسن لتنظر له هبة بغضب وتقول بحزم شديد: اطلع برة يا حسن.

حاول أن يعترض لكن نظرة من عيني شقيقته اسكتته وخرج بهدوء لتربت هبة على ظهرها بحنان وتقول: كده يا سهى تخضينا عليكي.

بكت سهى وعلت شهقاتها وهى تقول: والنبي يا هبة خليكي معايا أنا خايفة،

ربتت هبة على ظهرها بحنان وهي تقول: هششش اهدى يا حبيبتي خايفة من إيه بس؟ ده حسن بيحبك أوي والله.

****

نزل حسن للدور السفلي ليجد أمه تجلس ببرود فقال بلوم: طب كنتي طلعتي علشان خاطري طليتي عليها

نظرت له بغضب وهي تلوي فمها وتقول: إنت بيخيل عليك دلع البنات ده دي بتلعب بيك.

هز رأسه بأسف وهو يقول: يا أما حرام عليكي دي كانت قاطعة النفس خالص كان فاضل دقيقة وأروح أجيب أي دكتور يقابلني من قفاه.

تبدلت نظرتها للغضب وهي تنهره بشدة: إنت اتهبلت يا حسن تجيب دكتور ليلة دخلتك الناس تقول عليك إيه.

ابتسم ساخرا وهو يقول: لا أسبها تموت علشان الناس تقول راجل مش كده

أخفضت صوتها قليلا وهي تقول: ماهو طول ما إنت ملهوف عليها كده هتبيع وتشتري فيك .

نفض قميصه ليعبرعن استيائه وهو يقول: أنا إيه إللي نزلني !

واتجه للأعلى فقابل شقيقته تهبط للأسفل

أسرع يقترب منها بلهفة: ها يا هبة عاملة إيه دلوقتي؟

تنهدت هبة براحة وقالت: كويسة يا حسن الحمد لله بس بالراحة عليها شوية البت صغيرة ومش فاهمة حاجة دي اترعبت منك يا حسن معقول ما حستش بخوفها !!!

أخفض رأسه خجلا وهو يتذكر جرأته وعنفه الغير مقصود معها لم ينتبه لارتجافها، ولنظراتها المتوسلة حتى فقدت وعيها من شدة الخوف أغمض عينيه بألم فربتت هبة على كتفه بحنان وهي تقول: اطلع يا حبيبي وخلي بالك منها.

هز رأسه وهو يتجه للأعلى يهندم ملابسه ويمرر أصابعه بين خصلات شعره المتشعثة ليهندم من هيئته فلا يصيبها بالذعر مرة أخرى.

دخل حسن الغرفة ليجدها تجلس بالفراش تضم ساقيها لصدرها ورأسها متكأ على ركبتيها وشعرها مسترسل بإهمال وضع يده على رأسها لتنتفض تنظر إليه بعينين دامعتين فقال بأسف: حقك عليا مش قصدي والله فكرتك فاهمة هي مرات أبوكي ما قالتلكيش حاجة.

نزلت دموعها تكوي قلبه عقابا على تسرعه وعنفه ربت على رأسها بحنان فعلت شهقاتها وهي تقول: قالت لي أعمل إللي تقولي أعمله من غير ما أتكلم.

تمتم بغضب من هذه السيدة التي لم تراعي الله في صغيرته وتمتم بغضب: أستغفر الله العظيم.

ثم ابتسم وحاول أن يبدو هادئا فنظر لها وقال: طب هبة ما قالتش حاجة قبل ما تنزل.

تدفق الدم إلى وجنتيها وهي تشد على ركبتيها لتحتضنهما بخجل بينما أخفضت رأسها فقال باسما: تبقى قالت.

رفع يديه للأعلى ليبدي حسن نيته وعزمه على عدم إفزاعها، أو استخدام العنف ثم قال: بصي أنا مش هعمل حاجه هنمدد جمب بعض ونشوف هيحصل إيه مش هضغط عليكي ماشي؟

خرج صوتها يكاد يسمع وهي تتمتم: ماشي

تمدد على الفراش وقال لها وهو يفتح ذراعيه: يلا نامي .

نظرت سهى له بخجل وتساءلت: أنام فين؟

ضحك حسن فهي بريئة أكثر مما ينبغي ثم قال ممازحا: لا ما إنت ما تقفليهاش ميه ونور نامي في حضني أقل حاجة.

استسلمت بسرعة و تمددت لجواره بخجل ليحيطها بحنان ويهمس بهدوء: بحبك أوي يا سهى ما تزعليش من لهفتي عليكي.

هزت رأسها ولم تتحدث فاقترب يقبل وجنتيها برقة ثم ابتعد ليرى رد فعلها فوجدها تغمض عينيها بقوة فابتسم واستلقى بهدوء وهو يربت عليها بحنان .

****

في الصباح التالي دق الباب مبكرا دقا عنيفا ففزع حسن من نومه، اعتدل مسرعا يبحث عن شيء يرتديه بينما هبت سهى جالسة تضم عليها شرشف الفراش تختبأ من نظرات حسن الذي توجه للخارج مسرعا لشدة الطرق وإلحاحه ليجد الطارق والدته.

نظر حسن لها بتعجب لما تطرق بابه في هذا الوقت وتساءل: خير يا أما؟

نظرت له زينات بتفحص ليظهر الحقد بعينيها لهيئته الغير مهندمة ثم قالت: هي المحروسة هتفضل نايمة للضهر خليها تنزل تجهز الفطار.

اتسعت عينا حسن بدهشة لم يتصور أن تعبر أمه عن غيرتها وحقدها بهذا الشكل المباشر، لكنه أسرع يعيد الأمور لنصابها وهو يقول: فطار إيه يا أما إللي تنزل تجهزه يوم صباحيتها؟

مصمصت شفتيها بتهكم وهي تردد: صبحيتها آه

نظر لها حسن بحزم لينهي هذه المهزلة سريعا فيقول: أما .. سهى مش خارجة من باب الشقة قبل السبوع وماتطلعيش أكل هنجيب من برة.

علا صوتها وهي تراه يدافع عنها منذ اليوم الأول لها فقالت بغضب: كمان ماشي يا حسن .

وانصرفت بغضب لتخرج سهى الخائفة من الغرفة وقالت: ليه كده بس ما كنت نزلت جهزت الفطار وخلاص مش هيجرى حاجة.

نظر لها حسن بحدة هو لا يريدها ضعيفة تتنازل عن حقوقها ببساطة، فقال بحزم: لا هيجرى وزي ما قلت حتى لو أنا خرجت إياك تخطي باب العتبة قبل السبوع.

شعرت بالخوف من غضبه فقالت: حاضر والله هاعمل إللي تقول عليه.

شعر بخوفها منه ففرك أصابعه وهو يقول لها بهدوء: سهى أنا مش عاوزك تخافي مني بس ده حقك إنتي عروسة .

هزت رأسها بخجل فاقترب يحيطها بكلتا ذراعيه وهو يقول: وبعدين إيه قومك من السرير تعالي يلا مالحقناش ننام؟

****

مرت الأيام بطيئة على سهى، وزينات تتفنن في إهانتها وذلها بأي طريقة ممكنة بينما كانت هبة الملاك الحارس الذي ينقذها من براثن زينات أغلب الأوقات.

كان حسن حنونا عليها وقد صدق وعده لأبيها فقد قدم لها العديد من الهدايا الذهبية التي كانت تخبئها خوفا من بطش زينات حتى مر شهرين على الزفاف وقد استأذنت سهى من زوجها لزيارة أبيها وحين عادت وجدت زينات بشقتها.

***

-5-

دخلت سهى من الباب لتفاجئ بزينات تجلس وتضع أمامها كل ما أهداها حسن من مشغولات ذهبية ليظهر عليها الخوف فورا بينما هبت زينات واقفة لتشدها من طرحتها فتمزقها وهي تقول: بقى دي آخرتها يا بنت الفران بقى يلمك ويأويكي في بيته وإنت تسرقيه

تسرع سهى تنفي عنها هذا الإتهام بصوت مرتجف: والله ما حصل يا خالتي والله ما خدت حاجة.

تشير زينات إلى الطاولة وتقول بصراخ: أمال جبتي الدهب ده كله منين ها هتستهبلي دا إحنا جايبينك بشنطة هدومك يا شحاتة بدأت زينات تضربها، وسهى تبكي.

كانت هبة بالمطبخ تعمل على إعداد طعام الغداء حين سمعت صوت أمها وهي تسب سهى.

نفضت يديها فورا وتوجهت للأعلى وهي تتمتم: أستغفر الله العظيم مفيش فايدة يا أما مش هتسيبي البت في حالها.

وصلت للباب وبدأت بالطرق عليه وهي تقول برجاء: يا أما حرام عليكي افتحي يا أما سيبي البت هتموتيها.

لم تهتم زينات لطرقات ابنتها بينما أخذت تفرغ شحنة حقدها من سهى بضربها فأخرجت هبة هاتفها فورا، وطلبت شقيقها الذي سرعان ما أتاها صوته لتقول بلهفة: إنت فين يا حسن؟

يتحدث حسن بصوت يبدو فيه نبرة التعجب وهو يقول: أبدا أنا في الموقف مستني الدور علشان أطلع هعمل آخر بنديرة وجاي.

لتفزعه هبة بصراخ: سيبك من الدور والزفت أمك بتضرب مراتك وقافلة الباب إلحقنا يا حسن!

ينتفض حسن ويهرول نحو سيارته وهو يتمتم بغضب: عشر دقايق وأكون عندك.

وصل حسن يدفعه الغضب ليجد الوضع كما هو صعد الدرجات بسرعة ليجد هبة تقف على الباب فتح الباب واندفع يرفع أمه عن سهى التي تقطعت خصلات شعرها بين يدى زينات التي تقول: البت دي ما تبتش في البيت الليلة ال.....ال.....

يسرع حسن بإبعادها عن متناول يد والدته وهو يخبأها بين ذراعيه ثم يقول بغضب: أما ماسمعش كلمة تانية على مراتي.

لتسرع هبة نحوه تربت على ظهرها بحنان وهو يقول: سرقت منك إيه يا أما علشان تقولي عليها كده، وحتى لو سرقت مش ليها راجل يترد عليه ولا أنا طيشة يا أما تضربي مراتي بالشكل ده، وأنا مش موجود.

تشير زينات للطاولة وهي تقول بصراخ: اتفضل يا سي حسن بتسرق فلوسك وتشتري دهب شايف معاها دهب قد إيه؟

نظر حسن للقطع الذهبية وابتسم باستخفاف وهو يقول: مراتي مش حرامية يا أما وده دهبها أنا جايبهولها.

صعقت زينات من رده فقد ظنت أنها حصلت مبتغاها وإن اليوم ستذهب سهى بلا عودة، فقالت من بين طيات الدهشة التي تمكنت منها: إيه إنت جايبيهولها !!!! وده إمتى يا سي حسن؟ بتخبي على أمك!!

نظر حسن لها ليته يستطيع أن يعيد كرامة زوجته التي هدرتها لكنها أمه قبل كل شيء لذا قرر أن يضع حدا لتعديها على زوجته فقال: إللي بيني وبين مراتي ملكيش فيه يا أما وأنا دلوقتي مش مأمنك عليها كمان.

توسط ذراعها خصرها وهي تقول بتعجب: يعني إيه مش مأمني عليها !!! هو أنا عملت لها إيه ماكانوش قلمين انضربتهم.

اتسعت عينا حسن وهبة وهما ينظران لها بدهشة احتفظت بها هبة بينما أسرع حسن يقول بتهكم: قلمين ماشي يا أما متشكرين عموما مراتي مش نازلة لك تحت تاني هتقعد في شقتها.

ضربت زينات على صدرها وهي تصرخ بفزع: إنت بتنصر مراتك عليا يا ابن بطني يا خسارة تعبي فيك.

يشير لها حسن بيده لتكف عن ابتزاز عواطفه كان هذا يفلح في الماضى، وقد يفلح في مواقف أخرى لكن ليس الآن فقال بحزم: أما مالوش لازمه الكلام ده.

وجذب سهى من يدها للطاولة وبدأ في إلباسها كل المشغولات الذهبية وهو يقول لها بحنان: من هنا ورايح دهبك ما يتقلعش من إيدك ماشي يا سهى

هزت رأسها إيجابا.

فقبل رأسها وعاد يقول: وماتنزليش تحت إلا بأمري فاهمة.

بدلت سهى نظراتها بينه وبين زينات بخوف ثم قالت: حاضر.

بينما رفع صوته وهو يقول: وطول ما أنا برة البيت باب الشقة ماتفتحيهوش غير لهبة أختي سامعة يا سهى.

هزت رأسها مرة أخرى وهي تدفس وجهها في صدره تختبأ من نظرات زينات القاتلة.

لتبدأ زينات في العويل والتباكي وهي تردد: حسبى الله ونعم الوكيل فيك يا حسن بقى دي أخرة كسرة شبابى عليك إنت وأختك تنصر عليا حتة عيلة ما تسواش.

كانت تصرخ بهذه الكلمات وهي تتجه لشقتها بينما أسرعت هبة تجذب سهى بهدوء من بين ذراعي حسن وتقول: تعالي معايا يا حبيبتي اغسلي وشك وغيري هدومك.

تبعتها سهى بصمت بينما توجه حسن لأحد المقاعد ليرتمي عليه وهو يسند رأسه إلى كفيه بحزن، لم يكن يتخيل أن تفعل أمه ذلك .. إنها تفقد قيمتها بنظره يوما بعد يوم.

****

انصرفت هبة بعد قليل، فاقتربت سهى من حسن وقالت: حسن.

رفع وجهه إليها وهو يقول بحنان : نعم، يا نن عين حسن

أخفضت رأسها وقالت: إنت زعلان مني؟

أشار إليها لتقترب أجلسها على ساقيه وهو ينظر للكدمات الزرقاء بوجهها ويقول بأسى: أزعل منك ليه بس المفروض إنت إللي تزعلي!

أسرعت تقول ببراءتها التي تدمي قلبه خوفا عليها: أنا مش زعلانة.

اقترب يستنشق رائحة شعرها وهو يهمس: إنت طيبة أوي يا سهى.

أرخت رأسها على صدره بإجهاد واضح وهي تهمس أيضا: وإنت كمان طيب أوي.

مد يده يتلمس وجهها لتتمتم بألم: آه

أبعد كفه عن وجهها فورا وهو يقول بأسف: بيوجعك أوي

هزت رأسها إيجابا فاقترب يقبلها بحنان وهو يقول: حقك عليا.

تشبثت به تحيط رقبته بذراعيها لينهض، وهو يحملها ببساطة ويتوجه نحو غرفتهما ليضعها بالفراش وحين هم بالإبتعاد تشبثت به بقوة وخوف، فقال هامسا: ارتاحي حبيبتي إنت تعبانة.

تلون وجهها بحمرة الخجل وهي تهمس بصوت متقطع: طيب خليك جمبي.

أسرع يتمدد بجوارها وهو يضمها لصدره بحنان في محاولة للتخفيف عنها.

****

استقر الوضع إلى حد ما والتزمت زينات البعد عن طريق سهى التي بدأت السعادة تبدو على ملامحها لتزيدها جمالا، وجاذبية كان حسن يعشقها، ويتفنن في إسعادها، وبعد أربعة أشهر من زواجهما اكتشفت حملها لتزيد سعادتها ويزيد حب حسن وشغفه وكان هذا هو الوقت المناسب لمراضاة زينات وبعد إلحاح من سهى توجه حسن معها لشقة والدته وتصنعت زينات الرضا ورسمت سعادة زائفة لحمل سهى، ومرت الأيام .

بعد شهرين بشقة حسن حيث يتوجه للباب وهو يقول: أنا نازل يا سهى عاوزة حاجة؟

أقبلت إليه مسرعة بوجه مشرق: استنى يا أبو علي

تتسع ابتسامته حبا حين يراها بوجه مشرق سعيد فيقول بحنان: نعمين يا نن عيني عاوزة فلوس؟

هزت رأسها نفيا ببراءتها المعهودة وهي تقول: لا عاوزة أقولك ما تتأخرش علشان تيجي معايا عند الدكتورة.

ربت على خدها بحنان وهو يقول: بس كده بندرتين وأرجع لك يا قمر يا سلام لو ربنا إدانا بنت بعنيكي الحلوين دول.

ضحكت وهي تتساءل بعينين ضاحكتين: هتعمل إيه يعني؟

صمت لحظة ثم ضحك وقال: هحبسكوا إنتوا الاتنين.

ضحكت سهى على غيرته الشديدة فاقترب يقبل خدها وينصرف وهي تصيح: لا إله إلا الله يا أبو علي

حسن: محمد رسول الله، مش هتأخر عليكي

أغلقت سهى باب شقتها وهي تشعر بسعادة بالغة وتحمد الله على طيبة حسن وأخلاقه .

****

بعد ساعتين يطرق باب سهى طرقا عنيفا توجهت إليه بسرعة وكان الطارق علاء الذي نظر لها بشهوة، أرعبتها نظرته وهي تقول: أفندم مين حضرتك؟

تبدلت نظرته فورا إلى حزن مصطنع وهو يقول: إنت مش فكراني أنا علاء صاحب حسن حضرت كتب كتابكم.

هزت رأسها بتفهم وهي تقول: أهلا وسهلا بس حسن مش موجود.

أخفض رأسه بأسف زائف وهو يتصنع الحزن ويقول: ما أنا جاي علشان كده، كان في خناقة في الموقف وحسن دخل يحوش انضرب مطوة في صدره وهو في المستشفى وعاوز يشوفك.

اتسعت عينا سهى وهي تنظر إليه برعب وقالت: إنت بتقول إيه حسن !!!!!

لم يستطع أن يخفي نظرة التشفي بعينيه وهو يقول: آه والله إلبسي بسرعة ده تعبان أوي.

هرولت للداخل لتعود بعد قليل يصحبها علاء للمشفى حيث وجدت حسن ينازع الموت.

هرولت إليه بلهفة وهو مضرج بدماءه لتقول بفزع: حسن يا حبيبي يا حسن ألف سلامة عليك.

فنظر لها حسن فورا وهو يقول بخفوت: سهى كويس إنك جيتي خلي بالك من نفسك يا سهى ومن إللي في بطنك.

بدأت تبكي وهي تهز رأسها اعتراضا على حديثه وتقول: لا يا حسن ما تقولش كدة إنت هتبقى كويس.

أغمض عينيه بألم ثم نظر لها وهو يقول: هموت موجوع عليكي، دلوقتي بس عرفت إني أناني هموت وأسيبك لوحدك في الدنيا الغداارة لوحدك اااه سامحيني يا سهى بسسس أنا حبيتك أوى ما كنتش فاااكر المووووت قريب كده.

بدأت تنهار وهي تصرخ معترضة يرفض عقلها الصغير هذا الموقف، ويرفض قلبها الصغير هذا الوجع: لا ما تقولش كده ما تسبنيش يا حسن أنا بحبك والله بحبك أوى.

ترقرقت الدموع بعينيه وهو ينظر لها وقد بدأت أنفاسه تتقطع، ويقول: روحي من هنا امشي يا سهى امشي .

تشبثت بملابسه وهي تصرخ بهستيريا: لا يا حسن مش هسيبك.

نظر لها حسن بألم وتحجرت عينيه وأسلم الروح هزته سهى وهي لاتصدق أنه غادرها لتنزل الدموع من عينيه "ميت يبكي فراق حبيبته"

ألقت بنفسها فوق جسده المسجي متخضب بالدماء وهي تصرخ: هتسبني لمين يا حسن، قوم يا حسن قوم ما تسبنيش.

اقترب علاء يرفعها من فوق الجثمان لتصرخ به: سبني حسن بيحبني ومش هيسبني قوم يا حسن قوم يا حبيبي ما تسبنيش حسسسسن.

تمكن علاء من رفعها وإخراجها من الغرفة لتسقط مغشيا عليها بين ذراعيه وهو شيطان يتنكر في زي البشر ضمها لصدره غير عابىء بألامها وأحزانها ضمها بشهوة يبغي أن يحصل على ما لا يحق له ترك جثمان صديقه لينتهك عرضه.

أقبلت عليه الممرضات حين رأينها تترنح بين ذراعيه وقالت إحداهن: هاتها يا أستاذ على السرير ده.

نظر لها بحدة وهو يقول: ليه مفيش غرف فاضية؟

أجابته باقتضاب لهيئته الغير مريحة: الغرف في الإقتصادي بفلوس.

نظر لجسد سهى وهو يتمتع بدفء قربها ليقول بلهجة تقطر خبثا: هأدفع بس ما تطلعش النهاردة.

تنهدت الممرضة وهي تقول: ما دام هتدفع مفيش مشكلة.

اضطر أن يتخلى عن جسدها ليعود لصديقه بمنتهى البجاحة يبحث بين طيات ملابسه ليخرج ما معه من مال يدسه بجيبه ثم يخرج هاتفه ويتصل بهبة ليتصنع الأسف مرة أخرى ويخبرها بالحادث ويطلب منها سرعة الحضور.

****

دخلت هبة وزينات من باب المشفى ليقابلهم علاء تسرع هبة نحوه بلهفة متسائلة: حسن فين؟ حسن أخويا!!!!

أخفض علاء رأسه بأسف مصطنع وهو يتمتم: البقاء لله.

تهز رأسها بعدم تصديق وهى تردد: لا لا لا حسن مش هيسبنا هيسبنا لمين؟

وتوجهت للغرفة حيث يرقد جثمان أخيها.

بينما تبدأ زينات بالعويل: قلت له بلاش البت دي قصفت عمره منها لله، منها لله .

ينظرعلاء بمكر لزينات وهو يقول في محاولة منه ليستشف العلاقة بينهم: ماتقوليش كده يا حاجة دي وقعت من طولها ما استحملتش ودخلتها المستشفى.

تسرع زينات وتقول بحقد: اللهي ما توعا تخرج

شعر علاء أن كره زينات لسهى يصب في مصلحته، فهو يريدها ضعيفة بلا سند ليحصل عليها كما تمنى منذ رأها أول مرة.

بينما تنظر له بغضب وهي تقول: هي فين إللي ينخفي اسمها من الدنيا؟

أوصلها علاء حيث ترقد سهى ليتفاجئ بها تجردها من مشغولاتها الذهبية وتضعها بحقيبتها.

ورغم سوء خلقه إلا أن تصرفها أدهشه فتساءل مسرعا: بتعملي إيه يا حاجة؟.

لتجيب زينات بغل وحقد أراح صدره: مش هتطول من ابني حاجة ال.....دى

ثم أمسكت مقدمة ملابس سهى بغل وقالت: دخلتي بيتنا يا بومة قصفتي عمر ابني ورحمة ابني ما هتشوفي يوم حلو بعده إن ما وريتك المرار إللي في الدنيا مبقاش أمه، إنت تعيشي وابني يموت ورحمة الغالي إللي دمه لسه سخن لتعيشي بعده ميتة بالحيا وأنا وإنت والأيام طويلة.

علت ابتسامة خبيثة شفتي علاء، وقد استراح ضميره لما ينتوي فعله إن كانت أمه تفعل ذلك وتريد لها الشقاء، فلا بأس مما هو مقدم عليه فهو سيعتني بها لاحقا.

***

-6-

أفاقت سهى في اليوم التالي لتجد أبيها يجلس بجوارها منكس الرأس وعلى وجهه علامات الحزن وكأنه يحمل هموم الدنيا كلها.

لتهمس سهى بصوت منهك: أبا حسن فين يا أبا .....حسن يا أبا

يهز أباها رأسه بأسف وهو يقول: البقاء لله يا بنتي أمر الله.

بكت سهى وعلا نحيبها وهي تقول: سابني يعني .. سابني ومش هشوفه تانى.

اقترب ليجلس بجوارها وهو يربت على رأسها، ويقول بحنان: الله يرحمه ادعيله يا بنتي.

تشهق سهى من شدة البكاء وهي تقول: روحني يا أبا عاوزه أقعد في بيت حسن وأشم ريحته.

نكس الأب رأسه بأسى وهو يتمتم: لا حول ولا قوة إلا بالله

عودة للوراء

دخل عبد الرحمن وزوجته إلى منزل حسن لتقابلهم زينات بوجه متحجر فيبادر عبد الرحمن بالحديث قائلا: البقاء لله يا حاجة... سهى فين وعامله إيه؟

لتجيب زينات بلهجة متعجبة: ونعم بالله، سهى مين؟

ينظر لها عبد الرحمن بتعجب وشفقة يظن صدمتها بموت وحيدها أثرت عليها فيقول: سهى بنتي مرات المرحوم حسن.

ضربت زينات على صدرها وهي تقول: مرات حسن.... إنت بتقول إيه يا راجل إنت.!!!! أنا ابني مات مادخلش دنيا ....آه يا حبيبي يالي روحت في عز شبابك.

نطقت إعتماد أخيرا وتساءلت: إنت بتقولي إيه يا ست زينات؟ ابنك متجوز البت بقى له ست شهور.

نفضت زينات عباءة الحزن لتصيح: إنتوا جايين تتبلوا علينا في بيتنا ابني ماتجوزش حد روحوا شوفوا حد تاني ترموا بلاكوا عليه.

ليرفع عبد الرحمن صوته غاضبا: لا كله إلا كده ابنك متجوز بنتي وعلى يد محامي.

مصمصت شفتيها بتهكم: محامي طيب والله لو عندكم حاجة تثبت الجواز ابقوا تعالوا وروني.

قالتها بثقة فهي استخدمت المفتاح الذي كانت تخفيه لتسرق عقد الزواج.

****

عاد عبد الرحمن إلى الواقع لينظر لابنته التي تنظر إليه بدموع عينيها ليقول: حماتك الله يسامحها نكرت الجوازة.

نظرت له بصدمة وهي تقول: نكرت ...نكرت إزاى!!! وحسن !!!وابنه إللي في بطنى وأنا؟!! ...هروح بيه فين؟!!!.

ليجيب والدها بهدوء: هنروح للمحامي إللي كتب العقد ونشوف هيقول لنا إيه بس لما صاحب حسن يجي يودينا. أنا مأكد عليه..

هبت سهى من فوق الفراش وهي تصرخ: لا أنا راجعة بيتي ....راجعة بيت حسن ....ابني لازم يتولد ويتربى في بيت أبوه .

قوة غريبة تملكت منها لم تعرفها من قبل فهي لم تعد تلك الفتاة التي تبحث عن الأمان بل أصبحت أمّا عليها أن تشعر ابنها بالأمان.

خرجت من باب المشفى بخطوات سريعة لا ترى أمامها سوى صورة حسن وهو في نزعه الأخير ودموع عينيه وهو يودعها ويودع الحياة

يلحق بها أبيها وهو يصيح: حاسبي يا سهى.

رفعت عينيها لترى سيارة مسرعة لتتسمر قدميها بالأرض وهي ترى أبيها يحاول دفعها عن الطريق لتصدمهما السيارة سويا

آلام ومزيد من الآلام...

صراخ والناس تعدو هنا وهناك...

دماء بكل مكان تزكم أنفها رائحة الدماء ...

تنسحب الدماء بحرارتها من جسدها فتسرى به برودة الموت...

همهمات لا تسمع معظمها...

الكثير والكثير من الأيادي تحركها وهي بلا إرادة...

ضوء مبهر أنهى كل شيء...

مخدر يسري بأطرافها يسيطر ...ثم يسيطر ....ثم هي لم تعد تشعر بشيء...

****

أفاقت هذه المرة لتشعر بآلام مبرحة كل انش بجسدها يأن ألما نظرت حولها.....هي وحيدة أين أباها همهمت بألم: أبا

فتح باب الغرفة ليدخل منه علاء يبتسم بظفر: حمدالله على سلامتك يا شيخة خضتينا عليكي.

تنظر له سهى بتعجب كيف يدخل بلا استئذان لكنها تتغاضى وتتساءل: أبويا فين؟

اكفهر وجه علاء وتمتم بحزن زائف: ربنا يصبر قلبك.

سهى وكأنها لم تستوعب ما قيل: أنا بسألك على أبويا؟

هز رأسه مؤكدا أنه يفهم مقصدها وهو يقول: البقاء لله يا سهى هو إللي خد خبطة العربية علشان يفديكى لكن خبطتك إنت كمان

حاولت سهى أن تعتدل وهي تقول: إنت بتقول إيه !!!أبويا فين؟

بدأت تصرخ ليصل إليها أمسك أكتافها وهو يقول بهدوء: اهدي يا سهى ماتخافيش أنا معاكي.

نفضت يديه عنها وهي تصرخ: ابعد عني إنت كداب أبويا مش هيسبني هو كمان كفاية حسن سابني أبويا مش هيسبني.

شعر بالغل يكوي قلبه حين رأى مدى حزنها لفراق حسن فأمسك ذراعها بقوة وهو يقول كأنه ينتقم منها: فوقي بقى مابقاش في حسن إياك أسمعك تجيبي سيرته .....وأبوكي كمان مات...

مات ودفناه إمبارح..

بكت سهى وعلا نحيبها وهي تقول: حرام عليك إنت بتقول إيه كلهم سابونى!!!

وضعت كفها على بطنها فرفعه علاء بكل قسوة وهو يقول: حتى ده خلاص إنت سقطتي.

نظرت له بفزع وصرخت: لا ابن حسن هيعيش.

صفعة قوية أسكتتها من يد علاء؛ لتنظر له بذهول ليقترب فيمسكها من أكتافها ويقربها إليه ويقول: قلت لك ماتجبيش سيرته على لسانك هو مات وابنه مات وأبوكي مات خلاص كل حاجة انتهت حماتك نكرت الجوازة والمحامي مش هيعرف يعمل لك حاجة لأنك سقطتي .

ظلت سهى تنظر إليه بعينين دامعتين قبل أن تغمض عينيها وتستسلم لذلك الخدر الذى يهاجم أطرافها لينقذها من هذا الشيطان الذي يحارب ليتملكها

ارتخت بين ذراعيه فشعر بالنشوة ليقربها منه ويضمها بقوة، حتى وهي فاقدة للوعي يعاملها بقسوة شديدة، لكن قلبه يحترق كلما شعر بحبها لحسن فهو يكرهه، نعم كرهه منذ رأى سهى، كرهه منذ حال بينه وبينها، كان يغار منه فقط قبل أن يراها ليسود قلبه بعدها ويصل للكره.

ضمها بجنون وهو يتذكر كيف دبر لموته ...نعم هو دبر لموته ليحظى بها ...كان يعلم أنه سيجد طريقة ليحصل عليها لكن كان يجب التخلص من حسن أولا، فدفع المال لبعض الأشقياء ليفتعلوا مشاجرة أثناء وجوده هو وحسن واتفق معهم أنه سيتدخل أولا ليجبر حسن على التدخل وحينها يطعنه أحدهم طعنه نافذة بالصدر وأكد عليه أن تكون طعنة قاتلة وهذا ما كان.

وانتهى أمر حسن قتيلا .. وبالنهاية قتل بالخطأ أثناء مشاجرة ولم يثبت من قتله ولم يتم إتهام أحد.

ظل يضمها لدقائق مستبيحا جسدها بلا وجه حق، بل إنه تمادى في التقرب إليها حتى كاد أن يفقد صوابه وسيطرته ليتخلى عن جسدها ويمددها بالفراش.

أسرع خارجا ليحضر الطبيب الذى فحصها جيدا ثم قال: معلش هي ضعيفة من الأساس ونزفت كتير هنزود شوية أدوية تجبها من برة وبلاش انفعال .

انصرف الطبيب ليقترب علاء من فراشها مد إصبعه ليمسح دموعها التى تشبثت برموشها الكثيفة هو سبب هذه الدموع لكنها لن تعلم أبدا أنه من أزالها.

****

في منزل عبد الرحمن وقد مرت أيام العزاء التي انشغل فيها شقيقها الأصغر عنها، كان يذهب يوميا لتفقدها، لكنها دائما نائمة، كما ترفض الممرضة إدخاله لها ليطمئن قلبه عليها. حتى ضاق ذرعا وقرر التحدث مع أمه لإعادة سهى للمنزل.

خرج من غرفته وكانت أمه تجلس بصمت على أريكة متهالكة فاقترب ليجلس بجوارها وهو يقول: وبعدين يا ماما لازم نروح المستشفى نجيب سهى.

نظرت له إعتماد بغضب وكأنها رأت شيطانا: هي مين دي إللي نجبها كفاية إللي حصل أنا مش طايقة أشوف وشها.

نظر لها علي مشفقا فهي لا تزال تحت صدمة فقدها لوالده ليقول بهدوء: يعني إيه هنرمي أختي في الشارع دي أختي يا ماما!!

نهرته إعتماد بغضب: اخرس مش أختك دي بومة شوم كفاية استحملتها العمر ده كله.

بدأ علي يفقد صبره المزعوم وهو يقول: يعني إيه هتروح فين؟

أجابته بقسوة لم يتوقعها: تروح في داهية إللي كنت بستحملها علشانه راح عمر رجلها ما هتعتب بيتي تاني.

يحاول أن يستجديها فيقول: علشان خاطري يا ماما هنرمي لحمنا في الشارع...طب خليها تيجي تقعد معانا وأنا هشتغل وأصرف عليها مش هتشيلي همها خالص.

هبت واقفة وصفعته وهي تصرخ: قلت مش هتعتب بيتي تاني وإنت إياك حسك عينك تقول الكلام ده تاني إنت هتكمل تعليمك وتدخل الجامعة ما تفكرش فيها فكر في نفسك نفسك وبس.

نزلت دمعه قهر من عين علي وهو يرى أمه بعد موت أبيه توجه كل حقدها الدفين لأخته سهى، تلك الأخت الرقيقة التي يمنعه العجز عن مساعدتها لكنه عزم أن يفعل كل ما يقدر عليه دون علم أمه. نعم سيذهب ويعيدها للمنزل، وإما أن تقبل أمه بكليهما، وإما يصحب أخته ويرحل يكفيها ما عانت بسبب تفكير والديه العقيم هما أوصلاها لهذه المرحلة، لكنه لن يتخلى عنها مطلقا.

****

في منزل زينات

كانت هبة تبكي وهي تقول لأمها التي فقد قلبها إنسانيته: حرام عليكي يا أما دي مهما كانت مرات الغالي .

تجيب زينات بحقد وكره: هي وش النحس هي إللي قصفت عمر ابني

يعلو بكاء هبة وهي تقول: يا أما حرام عليكي كفاية ظلم بقى إزاي تنكري أن حسن اتجوزها طب وابنه اللي في بطنها هترمي ابن ابنك علشان بتكرهيها، يعني لو كان الله يرحمه اتجوز من بنات إخواتك زي ما كنتي عاوزة كنتي تقدري تعملي كده، ولا اكمنها غلبانة وأبوها راجل طيب

تقول زينات بشماته وتشفي: الله يرحمه مات هو الآخر وهي سقطت يعني لا واد ولا بت .

ضربت هبة على صدرها بفزع وهي تقول: يالهوي سقطت يا عيني عليكى يا سهى.

نظرت لأمها برجاء وهي تقترب لتجثو أمامها: طب علشان خاطر حسن دا كان روحه فيها سبيها تيجي تقعد في شقته.

دفعتها زينات لتسقط أرضا وهى تصيح: إنت اتجننتي يا بت تيجي فين تيجي تقعد علشان كام شهر وتسحب واحد تتجوزه في شقة ابني وتقهرني

تكفف هبة دموعها بظاهر كفها وهي تقول: بتقولى إيه بس يا أما كفاية تفتري عليها بقى.

لتصيح زينات بغضب: أهو أنا كده يا بنت بطني ظالمة ومفترية مش عاجبك شوفيلك أم غيري.

وتوجهت زينات لغرفتها لتجلس هبة أرضا وهي تبكي بحرقة: آه يا حسن يا حرقة القلب من بعدك يا أخويا، على عيني يا حبيبي حبيبتك تتبهدل من بعدك وأنا واقفة أتفرج.

****

أفاقت سهى في الصباح لتجد علاء يجلس على كرسي ويمدد ساقيه على آخر وهو يغط في نوم عميق حاولت أن تتحرك لكن جسدها مثقل بالآلام صدرت عنها أهه استيقظ علاء على إثرها فاعتدل ونظر لها ليقول: سهى إنت كويسة؟

نظرت له بانكسار وقالت: كويسة

نهض ليقترب منها وهو يقول: الدكتور قال هتخرجي النهاردة هروح أشوفه.

وغادر المكان بسرعة ليعود بالطبيب الذي لم يمانع مغادرتها المشفى على أن تهتم بطعامها وغذاءها.

خرجت تخطو بألم شديد بصحبة علاء الذى قال: تعالي أنا راكن الميكروباص هناك تحركت إلى حيث أشار في الوقت الذي دخل فيه علي إلى المشفى يبحث عنها.

ساعدها علاء لتركب بجواره وهو يقود باتجاه بيت أبيها، وعقله يبحث عن طريقه لتكون له وحده.

وصلت الحارة واتجهت للبيت والكل يتلفت عليها لم يقترب منها أحد وكأنها وباء يخشون الإصابة به طرق علاء الباب لتفتح لهما إعتماد التي ضيقت عينيها وهي تنظر لسهى وتقول: نعم يا وش النحس جاية عاوزة تاخدي عمر مين تاني؟

نظرت لها سهى بضعف وقالت بصوت أضعف: إنت بتقولي إيه يا مرات أبويا!!

تضع إعتماد ذراعها أمامها لتمنعها من الدخول وهي تقول: بقول إن أبوكي مات خلاص ملكيش مكان هنا ومش عاوزة أشوف وشك تاني .

نزلت دموعها قهرا وهي تتساءل كأنها لا تعلم الإجابة: هتطردني من بيت أبويا؟

بينما ينظر لها علاء ويكاد قلبه يطير فرحا لكنه يضع قناع البراءة ويقول: مش كده يا ست خليها تدخل طيب واتكلموا جوا

نظرت له إعتماد بغضب وهي تقول: وإنت تطلع إيه إنت كمان؟

ليقول علاء بحدة في محاولة لكسب سهى لصفه: وانت مالك إنت أطلع إيه راجل واقف قدامك تتكلمي عدل.

نظرت له إعتماد من أعلاه لأسفله لتقول: لا عدل ولا عوج ولا ليا كلام معاك من أساسه

تستسلم سهى كالعادة وتقول برجاء: طب اندهي علي أسلم عليه

أمسكت إعتماد ذراعها بقوة وهي تقول: أنا لو عرفت إنك شوفتي ابني والا كلمتيه هكري عليكي إللي يجيب أجلك يا وش النحس إنت فاهمة؟! ابعدي عن ابني .

نفض علاء يدها عن سهى بقوة وهو يقول: شيلي إيدك من عليها وبعدين ابنك ده يبقى أخوها.

لتصرخ إعتماد بوجهه: ابني مالوش أخوات.

ودخلت وصفعت الباب بوجهيهما.

أسندت سهى رأسها للباب وهي تبكي بحرقة فقال لها علاء: تعالي معايا

نظرت له بانكسار لم يبق أمامها سواه أو البقاء بالشارع لتقول بصوت يكاد يسمع: على فين؟

يحاول علاء أن يخفي لمعة السعادة بعينيه فيرخي جفنيه وهو يقول: تعالي ماتخافيش، سارت معه دون إرادة إلى مصير مظلم يتحكم فيه شيطانه فقط

هذا ما جنته هذه الصغيرة من تربية على الخوف من زوجة أبيها، من تفريط أبيها في حقوقها، من حبيب أعماه الشوق عن غد غير مضمون، من ظلم امرأة أرادت تملك ابنها لنفسها وكان حبه لهذه الصغيرة هو باب لمصير أسود. ومن هذا الشيطان الذي سيفعل أي شيء ليحصل عليها ويخفيها عن الجميع، فقد أصابته بهوس أفقده صوابه.

سارت معه لتستقل الميكروباص مرة أخرى بينما يستأذنها لمكالمة عاجلة ويسرع بالاتصال بذلك المحامي ذو الذمة الخربة ليتفق معه على المشهد النهائي الذي سيتمكن بعده من الحصول على سهى بعد طول انتظار.

***

-7-

جلست سهى برفقة علاء أمام المحامي الذي قال بعد أن منحها الوقت لتقص ما لديها: حتى لو معاكي ورقة الجواز .. الجواز العرفي بيحرم الست من حقوقها إنت كده كده ملكيش ورث لو كان حملك كمل وولدتي كنا عملنا إثبات نسب وابنك ورث أبوه لكن دلوقتي مش هنعرف نثبت الجواز.

تدخل علاء ليشعرها بخوفه عليها فيقول: بس حضرتك ماقلتش كده من الأول كنا خلناه كتب لها حاجة.

ليجيب المحامي ببساطة: وهو انا دخلت في علم الغيب علشان إنه هيموت ما كل يوم يا أستاذ ناس بتتجوز عرفي .

ثم نظر لسهى وقال: هو ماجابش ليكي دهب ولا أي حاجة تتسندي عليها.

نظرت سهى لذراعيها وكأنها تذكرت فجأة وهي تقول: دهبي ..دهبي كان في إيدي حسن قالي ما أقلعوش.

نظر لها علاء بغل وهو يقول: حماتها أخدته لماأغم عليها في المستشفى.

هز المحامي رأسه بأسف زائف وقال: طب إنت متعلمة معاكي شهادة.

هزت رأسها نفيا بحزن وهي تقول: أنا كنت في تانية ثانوي وسبت المدرسة بعد الجواز.

تأفف المحامي متصنعا الندم والأسف: يعني حتى منعرفش نشوف لك شغلانة، حكايتك صعبة جدا ملهاش حل.

تبادل علاء والمحامي نظرة خبيثة ليقول علاء: لا في حل واحد.

نظرت له سهى بلهفة ليصمت لحظة ثم يقول: تتجوزيني.

اتسعت عيناها من الصدمة وهي تقول بفزع: إنت بتقول إيه أنا!!! جوزي مات مابقلوش أسبوع.

يسرع المحامي بالتدخل لينفذ اتفاقه مع علاء فيقول: على فكرة معاه حق إنت جوزك مات وإنت حامل وعدتك بتنتهي بانتهاء الحمل سواء بالولادة أو الإجهاض يعني إنت عدتك خلصت وممكن تتجوزي.

غطت وجهها بكفيها وهي تبكي بحرقة ليقول المحامي: يا بنتي وحدي الله الراجل شاري وإنت حتى ملكيش حته تنامي فيها هتروحي فين بس؟

أسرع علاء في محاولة لإقناعها قائلا: وأنا هشيلك في عنيا صحيح الحال على القد بس مستورة والشقة إللي قاعد فيها نتجوز فيها.

رفعت عينيها إليه ولم تجب ليقول المحامي: لو سمحت بس سبني معاها شوية واستنى برة.

****

عاد علي إلى المنزل مرهقا فقد أتعبه البحث عن سهى وكأن الأرض انشقت وابتلعتها ليجد أمه تجلس بصمت فيقترب ويجلس بإنهاك: إزيك يا ماما

نظرت إعتماد له: إنت كنت فين من الصبح؟

ليقول علي ببساطة: كنت بدور على سهى.

ضربت على صدرها بجزع وقالت: يا لهوي بردو ما سمعتش كلامي ورحت لمقصوفة الرقبة

يقول علي بهدوء: يا ماما حرام عليكي دي أختي مليش غيرها لحمي وعرضي أرميها في الشارع ليه يا ماما مش راجل يعني!!

لتقول إعتماد بسخرية: طب يا أخويا لحمك وعرضك جت ساحبة وراها واحد طول بعرض وأنا طردتها.

انتفض علي واقفا بغضب: إيه طردتيها حرام عليكي يا ماما ليه كدة بس؟

تحاول إعتماد تبرير موقفها فتقول: ماهو أنا ماسمحش بالمسخرة في بيتي دي جاية وساحبة راجل إنت ايه ماعندكش دم؟

لم تفلح محاولتها لإغضاب علي الذي قال بثقة: أكيد علاء صاحب جوزها الله يرحمه يا ماما افهمي سهى ضحية.... بابا الله يرحمه غلط لما جوزها عرفي بيحبها وعاوزها كان استناها لكن كده ضيعناها يا ماما إحنا إللي ضيعناها وبنحاسبها على غلطتنا إحنا.

لم تفهم إعتماد كلمة مما قال لتقول بحزم: بقولك إيه أنا مش عاوزة كتر كلام تبعد عننا بشرها وخيرها أنا عمري ما هفتح لها بابي.

هز علي رأسه بأسف وهو يتجه للداخل فلا أمل من الحديث مع أمه وهو يتمتم بحزن: يا ترى روحتي فين وعاملة إيه؟!!

لكنه لن ييأس سيعيد المحاولة في الغد، سيبحث عنها حتى يعود بها ..لن يتخلى عنها مهما حدث.

****

خرج علاء فنظر المحامي لسهى وقال: يابنتي دي فرصتك الوحيدة إنت لو مرضتيش تتجوزيه هتترمي في الشارع ومحدش هيرحمك وإنت شكلك مش وش بهدلة .

نظرت له سهى وقالت ببكاء: أنا كنت بحب حسن أوي إزاي أتجوز رجل غيره دا دمه لسه مانشفش.

يبدل المحامي لهجته ليبدو كأب يخشى عليها: يابنتي الحي أبقى من الميت وبعدين حسن نفسه لو خيروه إنك تتجوزي، ولا تترمي في الشارع هيقولك اتجوزي.

تتمتم سهى بحيرة: أعمل إيه بس يا ربي، دبرني يا أستاذ ما أنا ممكن أتجوزه ويرجع هو كمان ينكر أبقى أعمل إيه وقتها أفضل طول عمري من رجل لرجل عرفي.

المحامي بخبث وقد شعر باقتراب تحقق هدفه: أنا هشيلك ورقتك عندي مش هديهاله وأول ما تتمي السن القانوني تعالي وأنا هخليه يتجوزك رسمي

تنهدت بألم فقال بلهجة تحذيرية ليبدو بصورة الناصح الأمين: بس اعملي حسابك أوعي تخلفي منه لأن الحكومة مش هيرضوا يأيدوا المولود احمدي ربنا إن إللي كان في بطنك نزل كنتي هتتبهدلي في المحاكم علشان اثبات النسب .

تنظر له سهى بألم: يعني إيه يعني كمان مش من حقي أخلف وأبقى أم؟

ليقول المحامي بحكمة لا يملك منها شيء: لما يبقى يكتب عليكي رسمي ابقي خلفي هي الدنيا هتطير؟

وتفحصها بعينيه أنه يشفق عليها حقا فهذا المدعو علاء هو يعرفه حق المعرفة لكنه لا يستطيع أن يواجهه أولا ولا يمكنه أن يرفض ما يقدمه من عروض مالية فجمع المال هو عشقه الذي أفنى حياته فيه.

تنحنح ليخفي أفكاره وقال: ها أنده له وأقوله إنك وافقتي؟

نظرت له بدموع عينيها وهزت رأسها فأسرع للخارج ليأتي علاء .

****

خرج علاء من المكتب تاركا سهى مع المحامي ليقنعها بالزواج منه جلس على أحد المقاعد وهو يتذكر كم الفوضى التي تسبب بها ليصل بسهى لهنا، لن يسمح لها برفض الزواج، وإن أصرت على الرفض سيأخذها مرغمة لمنزله لتصير عشيقة بدلا من زوجة، لن يتخلى عن هدفه مهما حدث.

عاد يتذكر بعد اتفاقه لقتل حسن وقد علم من أبيها نيته في الدفاع عن حقوق ابنته، وطلبه منه أن يصحبه للمحامي ليتظاهر بالموافقة والتضامن ويعده أن يصحبه، بينما يسرع بتأجير سيارة مسروقة ويخفي وجهه وقد عزم على التخلص من أبيها أيضا، لكن حين تحدث إلى المحامي وعلم خطورة إكمال سهى لحملها قرر أيضا التخلص من الجنين.

ظل ليلة كاملة يراقب باب المشفى ينتظر خروج عبد الرحمن لأي سبب لكن الأخير لازم ابنته حتى رآها تعدو ووالدها يلحق بها فأسرع بتحريك السيارة بسرعة وتوجه لها وفي اللحظة الأخيرة أدار عجلة القيادة ليصدم عبد الرحمن بقوة ويدفعها هي أيضا دفعه تصيبها إصابة طفيفة ليسقط عبد الرحمن تحت العجلات فيدهسه بلا رحمة ويلوذ بالفرار.

مات عبد الرحمن بنفس اللحظة بينما حملت هي وكانت إصابتها مجرد رضوض وخدوش ليصل علاء إلى المشفى بعد ساعة ويعلم أنها لازالت فاقدة للوعي فيتجه لإحدى الممرضات ويسأل عن إمكانية إجهاض سهى.

رفضت الممرضة مساعدته بشدة ليتركها ويبحث عن أخرى، فيجد أمامه طبيبا يساوم شخص لإجراء جراحة لشخص ما فيتجه له فورا ويعرض عليه مبلغا ماليا مقابل إجهاضها على أن تعتقد أنها أجهضت من أثر الحادث ليوافق الطبيب ويدخل لغرفة سهى ويخرج بعد نصف ساعة يطلب من علاء طلب النجدة بحجة أن المريضة أصيبت بنزيف.

وهكذا أحكم شيطانه قبضته على سهى ليدفعها للاستسلام له ليحصل عليها مثلما تمنى منذ رآها أول مرة.

أفاق علاء من شروده بلا أي إحساس بالندم على ماسفك من دماء، أفاق على المحامي ينادي اسمه ليقوم بكتابة العقد العرفي، ثم تغادر معه إلى شقته

****

منزل علاء بمنطقة عشوائية متطرفة من الحي الذي كانت تعيش فيه لكنها لم تصل إليها من قبل وصلت برفقته وهي ترتعد خوفا مما هي مقبلة عليه، فمجرد نظراته ترعبها.

وصل للبناية وكانت الشقة بأول دور، فتح الباب وقال: اتفضلي بيتك ومطرحك.

دخلت تقدم قدما وتعيد الأخرى ومع صوت إغلاق الباب سقط قلبها من بين ضلوعها ليدهسه هذا الذي أصبح زوجها دون أن يكون لها حق الرفض أو القبول.

بدأ علاء يشير لها ليعرفها بالمنزل فيقول: هنا المطبخ والحمام والأوضة دي فاضية ودي أوضتنا.

تخطاها ليدلف للغرفة أحضر بعضا من ملابسه وقال لها: معنديش هدوم حريمي بس خدي دول وأدخلي استحمي الميه الدافية هتريح جسمك وبكرة أنا هتصرف وأجيب لك هدومك.

نظرت له بأسى ونفذت ما طلبه دون كلمة واحدة، فليس أمامها الآن سوى الانصياع له.

دخلت إلى الحمام هو متواضع كباقي الشقة لا تقارن بشقة حسن، نزلت دموعها حين تذكرت حسن وهمست: سبتني للي يسوى وإللي مايسواش ينهش فيا.

تحممت وخرجت لتجده قد أبدل ملابسه و يجلس أرضا أمامه صينية وضع عليها أطباق من الأطعمة كالجبن والعسل والبيض.

نظر علاء لها وقال بهدوء: معلش مفيش أكل غير كده لكن بكرة الصبح هجيب إللي نفسك فيه

نظرت سهى للطعام وتمتمت بخفوت: نعمة الحمدلله

ابتسم علاء وقال: طب تعالي بقى إنت ماكلتيش حاجة من الصبح،

انصاعت له فهي حقا تتضور جوعا لكن بلا رغبة في الطعام فأكلت بضع لقيمات وتراجعت.

فقال بعجب: الله مالحقتيش تأكلي حاجة.

فقالت سهى بإجهاد واضح: معلش مش قادرة أنا بس عاوزة أنام هو في ميه في التلاجة؟

ابتلع علاء الطعام وقال: التلاجة بايظة بقى لها شهرين مكنتش بفكر أصلحها بس بكرة أجيب حد يصلحها علشان خاطرك.

لم تهتم سهى كثيرا بل قالت بلا حماس: مش مشكلة أشرب من الحنفية.

رفع علاء رأسه عن الطعام وقال: تعرفي تشربي من القلة؟!!! في إتنين على الشباك ده.

ردت بلا حماس: أي حاجة هاخد الدوا وخلاص.

توجهت فأحضرت بعض الأقراص من الكيس البلاستيك وعزمت على إحضار تلك القلة فوجدته يقف أمامها ويشرب منها ثم قدمها إليها بإبتسامة خبيثة وقال: علشان تجري ورايا.

لم تكن في حالة تسمح بالمزاح أو المجادلة فتناولتها منه بصمت ووضعت الأقراص بفمها دفعة واحدة وشرعت في ابتلاعها بالماء ولعدم معرفتها المسبقة نزل الماء فأغرق ملابسها.

التصق التيشرت الذي ترتديه على صدرها بينما شهقت بفزع وهي تبعد عنها هذه القلة فوجدته يقف أمامها ينظر لها بشهوة وعينيه مثبتتين على صدرها رفعت يدها لتنفض الماء

عن التيشرت لكن يده كانت أسرع فلمس صدرها لتفزغ وتعود للخلف، اقترب منها بعينين مظلمتين وهو يقول: إيه مالك أنا جوزك.

نظرت له سهى بخوف وقالت بخجل: أيوه بس أنا أصلي ... يعني أصلي...

قاطعها وهو يمد يده ليجذبها لصدره: عارف إنت إيه ما تخافيش بس تعالي

حاولت دفعه عنها وهي تقول برجاء: ابعد عنى حرام عليك

حملها عنوة وهي ترفس بقدميها وتدفعه بذراعيها فزاد إحكام قبضتيه عليها حتى دفع بها إلى الفراش.

كادت تبكى وهي تدفعه بصدره ليبتعد و تقول: حرام عليك إنت لازم تبعد عني.

أمسك ذراعها بقوة وقربها منه وهو يقول هامسا بفحيح مرعب: قلت لك ماتخافيش إيه عمرك ما عملتيها قبل كده دا إنت حتى خبرة.

اتسعت عيناها بصدمة وهي تقول: حسن كان عارف حدود ربنا وعمره م.....

أسكتتها صفعة قوية تلتها عدة صفعات وهو يصيح: قلت لك اسمه مايجيش على لسانك تاني.

جذبها من شعرها بقوة لتصرخ بألم وهو يقول: مرة تانية تجيبي سيرته حتى بينك وبين نفسك بموتك فاهمة.

هزت رأسها برعب حقيقي وهي تنظر له بفزع ولم تشفع لها آلامها ولا دموعها وهو ينزع.

عنها ملابسها ليطفئ نار شهوته المتأججة غير عابىء بتوسلاتها إليه.

ارتمى بعد فترة فوق الفراش مخلفا سهى بدموع لا تتوقف فقد شعرت أنها فقدت كرامتها وإنسانيتها، شعرت بالانتهاك أين الحنان الذي كان حسن يغرقها به!!!!! أين رضاها الذي كان حسن يتطلع إليه!!!!! أين الشرع حين كانت تقول له بخجل:حسن مش هينفع.

فيحيطها بذراعيه بحنان لتنام طيلة الليل تنعم بحنانه ودفء صدره، وقبل كل شيء. أين هو حسن الذى كان يحبها عكس هذا الشخص الذي يشتهيها فقط .

ظلت تبكي قهرا وألما حتى غفت.

****

استيقظت صباحا على يده يهزها بعنف: سهى قومي أنا ماشي

جذبت عليها الغطاء فنظر لها بتهكم وقال: ماشي يأختي وسيبهالك

نظرت له خوفا فقال: خدي خلي الفلوس دي معاكي لما حد يعدي بخضار انزلي هاتي وأنا هجيب حد يصلح التلاجة وأبقى أجيب لك لحمة ولا حاجة وإياكي حسك عينك تكلمي حد من الغجر إللي في الشارع فاهمة

أومأت برأسها وهي تقول بخفوت: حاضر ..زى ما إنت عاوز

****

وغادر أخيرا.... أخيرا شعرت أنها تستطيع أن تتنفس فوجود هذا الشخص المدعو زوجها يحبس الهواء عن رئتيها فتشعر بالاختناق أمامها إذا بضع ساعات ترتاح من رفقته التي تبغضها

بعد مغادرته بثلاث ساعات دق باب المنزل اقتربت منه بقلق فعاود الطرق لتقرر فتح الباب وإذا به علي

أشرق وجهها وهي ترتمي بين ذراعيه بسعادة: علي يا حبيبي ياخويا

بينما نظر لها علي بتعجب: بتعملي إيه هنا يا سهى؟

سهى وقد علمت أنه لا يعلم بأمر زواجها من علاء، فتربت على ذراعه وهي تجذبه للداخل: تعالى يا علي ادخل، وأنا هحكيلك.

قصت سهى على علي ما حدث معها منذ علمت بوفاة حسن حتى تزوجت علاء ليظهر الغضب على وجه علي، ويقول: الواطي أكيد كان عينه منك من الأول... ليه عملتي كده يا سهى؟

قالت سهى بحزن: كنت عاوزني أعمل إيه يا علي وأنا كل الأبواب اتسدت في وشي.

علي: وأنا روحت فين يا سهى؟

نظرت له سهى بحنان: ياحبيبي وإنت هتعمل إيه وإنت لسه في المدرسة وبعدين أمك حلفت ما أخطي الباب تاني أديني بقيت على ذمة رجل وخلاص أحسن ما أترمي في الشارع.

نظر لها علي بلوم وقال: دا أنا ماتسماش رجل لما أختي تترمي في الشارع أيوه، أنا لسه صغير بس راجل يا سهى وأقدر أشتغل وأكفيكي مصاريف.

نظرت له سهى بسعادة: ربنا يحفظك يا علي ويسعدك.

أمسك كفها وهو يقول برجاء: اسمعي الكلام وقومي معايا من هنا أنا مش مرتاح للراجل ده.

يتألم قلبها ليته أنقذها قبل أن يستبيح علاء جسدها...لغادرت معه حينها دون رجعه لكن بعدما فعله الليلة الماضية أصبح زوجها فعليا، تنهدت بقلة حيلة وقالت: مينفعش يا علي أنا خلاص بقيت على ذمته صدقني يا حبيبي لو مقدرتش أعيش معاه هاجيلك علطول.

يعيد علي سؤاله الذي ينغص عليه قلبه منذ دخل لهذا المنزل: يعني إنت مرتاحة للجوازة دي يا سهى؟ أنا مش مطمن.

أجابت سهى بقلة حيلة: سيبها على الله.

****

في المساء عاد علاء ليجد سهى تجلس، وقد بدا عليها الحزن يتأفف من رؤيتها بهذه الهيئة ويقول بضجر: وبعدهالك مش هتفكيها بقى؟

نظرت سهى له بخوف وقالت: أفك إيه مش فاهمة

نظر لها بغيظ فهو لا يتحمل براءتها وكثرة أسئلتها.. عقدة الحزن دي أنا ماليش في الغم .

تهز سهى رأسها وتتمتم: حاضر

جلس يمد ذراعه يتلمس جسدها بجرأة ويقول بصوت خفيض: ها عملتي إيه النهاردة، وأنا مش موجود أوعي يكون حد من الجيران العرة دول اتكلم معاكي.

ينكمش جسد سهى من لمساته وتقول: لا والله ماكلمتش حد مفيش غير علي أخويا إللي جه اطمن عليا ومشي علطول.

شعر علاء بالقلق فهي قد تحتمي بعلي يوما ما فقرر أن يقطع عليها هذا الطريق أيضا عليها أن تكون له...له وحده.

نظر لها ورفع يده عنها ثم قال: أه أخوكي.. بالمناسبة هو لسه عيل في ثانوي صح؟

لتقول سهى بشيء من الحدة: هو في ثانوي بس مش عيل أخويا رجل

تأكدت ظنونه ومخاوفه فأخيها هو ملجأها الأخير، فقال وهو يضيق عينيه وينظر لها بحدة وغضب: تمام ولو خايفة على الرجل بتاعك حسك عينك يعرف عننا أي حاجة إلا ورحمة أبويا أجيبلك أجله.

ارتعبت لمجرد الفكرة لن يمكنها فقد علي أيضا يكفيها من فقدت، فأسرعت تقول برجاء وخوف واضح: لا الله يخليك ملكش دعوة بعلي، وأنا مش هقوله حاجة والله.

هز علاء رأسه ثم تلفت قائلا: طيب في أكل ولا مفيش؟

نهضت سهى وهي تهرول للمطبخ: عملت مسقعة دقيقة واحدة

تمتم بغيظ منها: أي زفت جتك داهية شكلك هتطلعي نكدية وتقرفي أمي؟

بينما تتبعت عينيه خطواتها لينظر لجسدها وهو يتمتم: بس أستحمل النكد منك بردو مسيرك تفكي.

عادت سهي بعد قليل لتجده يلف أحد السجائر فقالت بتعجب وقد علت الصدمة وجهها: إنت بتشرب سجاير؟ !!!

نظر لها علاء فهو يعلم أخلاق حسن الراحل لطالما نصحه بالابتعاد عن تلك الأشياء التي تدمره ليكفهر وجهه لذكراه فيقول بغضب: آه بشرب زفت عندك مانع؟.

أسرعت تجيبه بخوف: لأ لأ براحتك..

ضحك باستهتار ثم قال: وعلى فكرة ده حشيش مش سجاير تحبي تجربي؟

وضعت سهى صينية الطعام وهي تتراجع للخلف بذعر: لا كتر خيرك مش عاوزة.

علت ضحكاته التي ينقبض لها قلبها وهو يقول: خلاص اقعدي كلي.

هزت رأسها نفيا وقالت: شكرا أنا أكلت وأنا بطبخ .

نظر لها بغضب وصاح بها: يعني إيه كلتي وإنت بتطبخي ملكيش راجل تستني تطفحي معاه.

ارتعدت أوصالها وهي تقول: أنا آسفة مش هتتكرر تاني أصلي جوعت معلش بعد كده هستناك.

نظر لها شزرا وأكمل طعامه بصمت.

رفعت الطعام وتركته جالسا فقال لها: ما تجيبي القلة.

توجست خوفا من نظراته ناولتها له شرب ثم قال وهو يتفحصها: إنت مش عطشانة؟

هزت رأسها نفيا فضحك عاليا وقال: روحي نامي أنا هنام هنا النهاردة.

دخلت الغرفة وهي تتنهد بارتياح لعدم نومه في الغرفة، لكن بعد ساعة واحدة ضاعت أحلامها بالراحة منه حين فتح الباب وهو شبه عاري، واندس بجوارها وهو يهمس: لا مش قادر أنام برة.

ارتعش جسدها حين جذبها إليه لتقول بخوف: ربنا يخليك سبني أنام.

تلمس جسدها بوقاحة وهو يقول بغضب: يعني إيه تنامي وأولع في نفسي ولا أعمل إيه؟ إنت من بكرة تروحي للدكتور يشوف لك صرفة.

أسرعت تستسلم له بخوف: حاضر زي ما إنت عاوز.

ولم يتنازل علاء عن رغبته، ولم يتركها بسلام وزاد الأمر سواد في الأيام التالية وقد توجهت بالفعل لأحد الطبيبات التي ساعدتها في منع الحمل فقد صارت أكبر مخاوفها هي إنجاب طفل من هذا الرجل الشهواني الذي لا يراعي حدود الله.

علم منها أن عذرها الشرعي قد انتهى فكانت ليلة من أسوأ لياليها.

عاد من الخارج باكرا لكنه يترنح غير متزن فقالت: مالك إنت عامل كده ليه؟.

نظر لها وهو يضحك بلا مبرر: مالي ما أنا زي الفل أهوه مش عجبك يا سنيورة ولا إيه؟

حاولت عدم إزعاجه فهو لا يبدو بحالته الطبيعية فقالت: لا مش قصدي بس شكلك كده.

صرخ بها بانفعال غير مبرر: ماله شكلي؟

أمسكها من ذراعها بقوة وغضب، وهو يجذبها لصدره هامسا: بقولك إيه أنا من يوم ما شوفتك وأنا مستني اليوم ده هتبوظي الليلة هسود عيشتك.

صدق ظن علي لقد كان يريدها بحياة زوجها الراحل زادها اعترافه الغير مقصود كرها له، لكنها تخاف منه بشدة، لقد هدد بقتل علي إنها لن تتحمل أن تفقد علي أيضا.

هزت رأسها بخوف وهي تقول: حاضر والله مش هأعمل حاجة.

يتحسس جسدها بطريقة أثارت رغبتها للتقيؤ ثم دفعها للداخل قائلا بغضب: انجري يلا البسي حاجة كويسة وتعالي.

نظرت لملابسها وتسائلت ببراءة: هي العباية وحشة؟

صرخ علاء بغضب: عباية إيه يا ... هتستهبلي في واحدة ليلة دخلتها تلبس عباية انجري يالا والا أقوم أقلعك أنا.

هرولت من أمامه فورا لتحتمي بالغرفة بينما جلس يدخن المزيد من سجائره اللعينة.

تدخل للغرفة تبكي بصمت على هذا البلاء الذي تزوجته وما قد يفعل بها وخوفا من بطشه تبدل ملابسها، فقد أحضر كل ملابسها من بيت حسن دون أن يخبرها كيف قام بهذا، وربما هي أيضا لا تريد أن تعرف ..

لم تجرؤ على مغادرة الغرفة ليقتحمها بعد قليل يبتسم لملابسها التي زادتها جمالا ورقة وزادته رغبة وجنون ..يقترب منها بخطوات مترنحة، وهو يحاول نزع قميصه ليعلق أحد الازرار، فيمزق القميص ويلقيه أرضا لتعيش معه أسوأ لحظات عاشتها حتى هذه الليلة.

****

لم يتغير وضع سهى إطلاقا فقد استمر زوجها على إهانتها وانتهاك حقوقها.

قال تعالى﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذي فٱعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢) نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾.

****

بعد شهرين

نزلت هبة من المنزل لقضاء بعض احتياجاتها فمرت بورشة نجارة على الشارع الرئيسي، ولاحظت علي شقيق سهى فلم تتردد في التوقف والنداء باسمه لتطمئن على حبيبة الحبيب.

هبة: علي يا علي

انتبه لها علي فتوجه إليها مباشرة وهو يبتسم لرؤيتها هو يعلم أنها تحب أخته وتهتم لأمرها: إزيك يا أبلة هبة

ابتسمت هبة بود وقالت: الحمدلله يا حبيبي إزيك إنت؟

أجاب علي ببساطة: بخير والحمد لله

تساءلت هبة بقلق: إنت سبت المدرسة ولا إيه؟

أسرع يطمئنها بود: لا أبدا بشتغل بعد المدرسة الأسطى محمود كتر خيره مقدر ظروفي

اختنق صوت هبة وقد ترقرقت الدموع بعينيها: وسهى أخبارها إيه قول لها تسامحني بالله عليك يا علي.

رق علي لحالها فقال: وإنت ذنبك إيه بس يا أبلة هبة دى بتحبك والله.

تنهدت هبة وعادت تتساءل: وهي عاملة إيه

اكفهر وجه علي وهو يقول: اتجوزت الزفت إللي اسمه علاء صاحب المرحوم أنا مش مصدق إنها مرتاحة بس هى مش راضية تتكلم.

ظهرت الكآبة على وجهها وهي تقول: علاء منه لله هو إللي جه خد هدومها من أمي معرفش إزاي رضيت تديهاله.

ليؤكد علي حديثها قائلا: والله أنا مش مرتاح له ربنا يهدى لها الحال.

شعرت هبة بالحرج فقالت: يارب مش هعطلك بقى علشان الأسطى بيبص عليك بس مادام إنت هنا هطمن عليها منك.

هز علي رأسه وانصرفت هبة ليقترب الأسطى محمود صاحب الورشة وهو شاب بنهاية عقده الثالث يعيش هو وشقيقه فقد تيتما منذ سنوات طويلة وظلت عمتهما ترعاهما حتى تزوجت وكان محمود حينها في الخامسة عشر ليتخلى عن أحلامه ويتفرغ لرعاية شقيقه الأصغر عبدالله الذى يصغره بعشر سنوات كاملة فألحقه بالتعليم الذي حرم منه حين تزوجت عمته.

نظر الأسطى محمود وتساءل: مين دي يا علي أختك

أجاب علي بعفوية: لا يا أسطى دي أبلة هبة أخوها الله يرحمه كان متجوز أختي لسه بتسأل عليها والله بنت حلال.

هز محمود رأسه وقال: طيب خلي بالك من الورشة ورايا مشوار لحد ما عبدالله يجي، ابتسم علي بسعادة لثقة محمود به وقال: في عنيا يا أسطى.

وانصرف محمود لا لشيء إلا لمتابعة هبة.

****

بعد أسبوعين بورشة النجارة

أقبلت هبة ونظرت بتفحص داخل الورشة تبحث عن علي فلم تجده، فهمت بالمغادرة حين أقبل محمود إليها قائلا بلهفة: اتفضلي يا أبلة علي بعته مشوار زمانه جاى.

نظرت له هبة بخجل: أنا آسفة كنت هسأله على حاجة وأمشي علطول.

محمود: كلنا تحت أمرك تحبي أبعته لما يجي؟

تذكرت هبة أمها فقالت بخوف: لأ لأ أنا لما أعدي تاني أبقى أشوفه.

وهمت بالمغادرة فأوقفها قائلا: تسمحي بس مش حضرتك أخت الأسطى حسن الله يرحمه.

قالت هبة بانكسار: أيوه كنت تعرف حسن أخويا.

محمود: الله يرحمه كان ابن حلال والكل كان يحبه.

اغرورقت عيناها بالدموع فقال بسرعة: إيه ده أنا آسف والله مش قصدي أزعلك.

قالت هبة بصوت مختنق: معلش مش زعلانة عن إذنك.

ولم يتمكن من إيقافها فغادرت حين أقبل شقيقه الأصغر عبدالله وقال: مين دي يا محمود؟

كان محمود يتابعها بشغف فلم ينتبه لأخيه الذي هزه وقال: إيه يا عم روحت فين!!! ما تروح وراها أحسن.

انتبه محمود وقال: تصدق معاك حق، وانطلق يقتفي أثرها بلهفة.

ليقول عبدالله بتعجب: إيه إللي جرى له ده طول عمره عاقل.

***

-8-

لحق محمود بهبة قبل أن تدخل حارتهم فأسرع ينادي عليها: ست هبة

تعجبت هبة والتفتت إليه بنظرة غاضبة: جرى إيه يا أسطى هي حصلت تمشي ورايا؟

أسرع محمود ينفي عنها سوء الظن: لا مش قصدي والله أنا مش كده أنا بس عاوز أسألك سؤال.

نظرت له هبة بحزم: اتفضل ما يصحش وقفتنا دي.

فقال محمود بسرعة: بصراحة أنا ماشي وراكي من أسبوعين ومعجب بيكي جدا سألت، وعرفت إنك اتجوزتي قبل كده، ومايفرقش معايا وأنا عاوز أتجوزك لو اتقدمت تقبليني ولا حد في حياتك.

اتسعت عينا هبة بدهشة، ثم شعرت بالخجل من نظراته، وأخفضت رأسها تخفي ابتسامة تسللت إلى شفتيها بلا وعي منها، ثم قالت وهي تنظر أرضا: عيب يا أسطى الكلام ده يعني إيه حد في حياتي أنا بنت أصول ومليش غير في الحلال.

ابتسم بسعادة غامرة وقال: وأنا طالب الحلال.

أجابت باختصار وهي تهم بالمغادرة: الحلال ينطلب في البيوت يا أسطى مش في الشوارع، وأسرعت من أمامه بخطى مضطربة.

****

تمكن محمود خلال يومين من التقدم لخطبة هبة، ورحبت به زينات بشدة فهو كعريس تراه الأمهات لقطة، وتم الاتفاق على أن يكون الزواج بعد أن تمر سنة على وفاة حسن بعد أن اشترطت زينات شبكة قيمة، ومؤخر كبير لم يعترض عليهما محمود لا لشيء إلا لمحبة هبة التي تتسلل لقلبه، وأصرت هبة على تأجيل الزفاف حتى مرور سنة على وفاة حسن كان هذا المطلب الوحيد لهبة، واحترمه محمود لكن طلب التعجيل بعقد القران ولا بأس من تأجيل الزفاف.

****

بعد شهرين خرجت هبة برفقة محمود لقضاء يوم إجازته بإحدى الحدائق العامة، لينظر لها محمود بسعادة ويقول بود: النهاردة أسعد يوم في حياتي أول خروجه لينا مع بعض ربنا يقدرني وأسعدك.

ابتسمت هبة لرقته معها وقالت: ربنا يسعدك يا محمود إنت بجد طيب أوى أنا كنت خايفة منك.

عجب محمود لها ما سبب خوفها: خايفة مني ليه يا هبة؟

أسرعت توضح الأمر له: مش منك يعني كنت خايفة علشان مكنتش أعرفك وأنا بقيت أخاف من الرجالة أوي.

شعر بالحزن لأجلها وقال: شكلك تعبتي جامد في جوازتك الأولى.

تنهدت وهي تقول: أكتر مما تتخيل لولا حسن الله يرحمه صمم واتصدر له وطلقني منه كان هيجي يوم يقتلني فيه.

نظر لها بفزع وأسرع يقول: سترك يا رب ليه مكنش بني آدم!!! مفيش رجولة؟

نظرت له بحزن وهي تقول: ناس كتير فاهمة الرجولة أنه يضرب مراته ويكسرها ويهينها وذلها عنده بيقوى رجولته، وهو في الحقيقة بيضعفها عمر ما في ست تشوف رجولة في الهمجية والإهانة.

اقترب محمود برأسه منها وقال هامسا: لا أنا مش كده والله بكرة تعرفيني كويس وهغير نظرتك دي خالص.

أشاحت وجهها بخجل ولم ترد.

كان يوما سعيدا لكليهما وفي طريق العودة توقفت هبة فجأة وقالت: محمود لحظة بالله عليك، وأسرعت خلف إحدى الفتيات فأمسكت ذراعها بلهفة وهي تقول: سهى !!!

نظرت لها سهى بعينين غائمتين وأسرعت تضمها بلهفة: هبة وحشتيني وحشتيني أوي.

ضمتها هبة تستنشق فيها رائحة أخيها الراحل: يا حبيبة الحبيب يا غالية إيه إللي جرى لك ايه عمل فيكي إيه علاء الزفت ده؟.

ترقرقت دموع سهى وهي تقول: أنا اتبهدلت أوي يا هبة.

أسرعت هبة تقول لها: وقاعدة معاه ليه سيبيها مطربقة على دماغه علي أخوكي بيدرس ويشتغل وهيشيلك في عنيه.

نظرت لها سهى بخوف: لا يا هبة بالله عليكي اوعي تجيبي سيرة لعلي ده بيهددني لو قلت له حاجة يقتله ده مجرم إنت ماتعرفيهوش.

ضربت صدرها بفزع: يالهوي يقتله؟

هزت رأسها وهي تقول: هبة أنا لازم أمشي لو اتأخرت هيسود عيشتي .

نظرت لها هبة بحزن: مع السلامة يا سهى.

انصرفت سهى ليقبل محمود متسائلا: مين دي يا هبة؟

أجابت هبة وهي تتبعها بعينيها: سهى حبيبة الحبيب.

نظرلها محمود متعجبا: حبيبة مين؟

هزت رأسها بأسى وقالت: حبيبة أخويا حسن دي مراته وحبيبته اتجوزت حيوان.

ربت محمود على كتفها فقد شعر بحزنها فورا وقال: طب تعالي احكيلى.

****

لم تعد إهانات علاء لسهى مقتصرة على المنزل بل أصبحت علنية أمام الناس والذين ينفرون منها دون أن تفهم سببا لذلك، بينما استغل صغر سنها وبراءتها أسوأ استغلال فهي بالنهار خادمة تنظف بيته وتهتم بكل شئونه وبالليل جارية لتلبي متطلبات رجولته المعدومة أصبح الحال أكثر صعوبة فهو يتعاطى المواد المخدرة التي تستنفذ أكثر ما يجنيه من مال.

في إحدى الليالي وبعد أن تعاطى عدة سجائر وبدأت شياطينه بالظهور لينادي بغضب: سهى إنت يا زفتة؟

أقبلت إليه مهرولة: نعم حاضر أنا اهو.

أحنى رأسه وهو يتفحصها من رأسها لقدميها ويقول: إنت مش كنتي حامل من الزفت إللي قبلي.

تمتمت بخفوت خوفا من بطشه: الله يرحمه.

صرخ بغضب: بتبرطمي تقولي إيه؟

أسرعت تقول خوفا من بطشه: ولا حاجة هقول إيه يعني؟

عاد يحني رأسه ويتفحصها: تقوليلي ليه ما حملتيش مني لغاية دلوقتي بقالك كام شهر معايا.

قالت بتهكم: وإنت عاوز عيال تعمل بيهم إيه، ولا تصرف عليهم منين كفاية عليك الحشيش.

هب واقفا بغضب: إنت بتعلي حسك عليا يا بنت.....

وانقض عليها يضربها بعنف صفعها بقوة لتسقط أرضا وهي تقول: آسفة حقك عليا والله آسفة.

جذبها من شعرها بقوة لتقف أمامه وقال: مرة تانية صوتك يعلى أقطع لك لسانك.

أومأت بخوف: حاضر حاضر

اقترب من وجهها حتى تنفست أنفاسه الكريهة وهو يقول: هتخلفي مني والا لأ

أومات بخوف شديد: دا يوم المنى يا ريت ربنا يرزقنا.

جذبها لصدره وهو يهمس: بتحبيني يا بت؟

أومأت بخوف شديد فصرخ بها: انطقي .

سهى ببكاء: بحبك بحبك ارحمني بقى أنا في عرضك.

دفعها للخلف: ماشي هرحمك قدامك عشر دقايق تجهزيلي نفسك لو دخلت الأوضة ولقيتك مش جاهزة ليلتك سودة.

دفعها باتجاه الغرفة لتتمتم: هو في سواد أكتر من كده ربنا ينتقم منك يا بعيد.

*********.

تمر الأيام بطيئة على البعض وسريعة على البعض الآخر يمر العام ويتحدد موعد زفاف هبة ومحمود.

في شقة محمود قبل الزفاف بإسبوع .

يحمس عبدالله الرجال على العمل: الهمة يا رجاله عاوزين ننصب العفش كله علشان ست العرايس تلحق تفرش.

أقبل محمود يربت على ذراع أخيه بمحبة: نتعب لك يوم فرحك يا عبدالله.

ابتسم عبدالله بسعادة: ربنا يتمم بخير يا عريس.

أسرع علي يقول: ربنا يسعدك ياأسطى .

يبتسم محمود لعلي ثم ينظر لأخيه ويقول: يا عبد الله ربنا يهديك اطلع اقعد معانا الشقة واسعة.

همس عبدالله: يا محمود اسمع الكلام دي عروسة ولازم تاخد راحتها في شقتها، وأنا تحتك في الشقة هروح فين؟.

تنهد محمود وقال بحزن: بس أنا مش متعود تبعد عني من يوم أبوك وأمك الله يرحمهم، وأنا مافرقتكش يوم.

قال عبد الله بود: خلاص يا محمود أنا بقيت راجل وإنت مراتك هتبقى أمانة في رقبتك راعيها وادعيلي بقى ألاقي بنت حلال زيها.

****

رفضت هبة إقامة عرس كبير بينما أصر محمود على ارتدائها لفستان الزفاف، وحضر علي الحفل الصغير الذى أقيم أمام منزل العروس ورفض رفضا باتا الدخول إلى المنزل، بينما كانت زينات ترمقه بنظرات يملؤها الحقد.

في شقة العروس

فتح محمود الباب وتراجع قائلا: سمي وخطي برجلك اليمين يا بنت الأصول.

دخلت هبة وهي تخفض رأسها خجلا، تنحنح محمود وقال: إيه رأيك نصلي ركعتين علشان ربنا يكرمنا.

رفعت عينيها إليه وقالت بسعادة: يا ريت هغير وأتوضأ.

صلى محمود وزوجته التي هبت تقول: ثواني أحضر لك العشا.

لحق بها محمود وهو يقول: هو إنت جعانة؟.

أومأت برأسها فقال باستسلام: طيب تعالي أساعدك.

أعدا الطعام فقالت هبة بتلقائية: هو عبد الله أخوك اتعشا؟.

أسعده اهتمامها بأخيه فقال: مش عارف والله يا هبة.

عادت تقول بنفس التلقائية: طب نادى عليه يتعشا معانا.

نظر لها بتعجب وقال: يتعشا معانا عمره ما يرضى يطلع.

هزت رأسها بتفهم: خلاص خد أكل نزله يأكل وبعدين تعالى نتعشا، وبدأت بتجهيز طبق كبير لعبدالله فقال محمود: إيه كل ده يا هبة؟.

قالت بحنان: هو أكيد هينحرج يطلع يبقى عنده أكل بزيادة.

تناول منها الطبق وقال: تسلم إيدك يا بنت الأصول.

نزل محمود وعاد بعد خمس دقائق ليجد هبة أبدلت ملابسها لقميص رقيق من اللون الأبيض.

اقترب ليجلس أمامها ويقول: تبارك الله إيه الحلاوة دي أنا مقدرش على كده.

أخفضت رأسها خجلا فقال: كلي يلا بسم الله...

عاملها محمود كأنها قطعة غالية يخشى عليها حتى من نفسه أشعرها بقيمتها بإنوثتها بكيانها الذي لا ينتقص من كيانه شيئًا، وفي المقابل كانت له الزوجة والحبيبة التي تتكحل عينيها بحبه.

*****.

حافظت سهى على وعدها لنفسها بعدم الإنجاب من هذا الرجل بل أصبحت تخاف منه أكثر مما تخاف من الموت فبعد الموت ستجد رحمة الله، أما هو فلا يعرف الرحمة.

انتظرت بفارغ الصبر أن تتم الثامنة عشر ليعقد القرآن بشكل رسمى حينها قد تتخلص منه، وقد تتمكن من استكمال حياتها فهي بعد أن عاشرت هذا الرجل علمت أن الزواج ليس حلا، فهي تفضل أن تعمل خادمة ولا تعيش معه.

في صباح أحد الأيام توجهت سهى لورشة النجارة التي يعمل بها علي والذى ما إن رأها مقبلة عليه حتى أسرع يلاقيها ضمها لصدره بحنان، وهو يقول: يا حبيبتي يا سهى وحشتيني أووووى.

أجهشت سهى بالبكاء وهي تقول: وإنت كمان يا علي واحشني يا أخويا.

ضمها لصدره فسمع محمود ينادي بغضب: علي

التفت له وهو متشبث بكفها وقال بصوت مختنق: أيوه يا أسطى

شعر محمود بالشفقة لكنه قال محذرا: إيه إللي بتعمله ده إزاي تحضنها في الشارع كده؟.

فقال علي بسرعة: دي أختي يا أسطى سهى أختي.

تذكرها محمود لقد رآها مرة واحدة وهو بصحبة هبة: أهلا يا ست سهى اتفضلي جوه، ثم نظر لعلي وقال: برضو يا علي الناس إللي فايته في الشارع ميعرفوش إنها أختك ليه تخلي حد يبص لها بصة مش كويسة؟

نكس علي رأسه بحزن: معاك حق يا أسطى أنا غلطان.

قال محمود بود: طب خد أختك وادخل في مكتبي يلا.

توجه علي وسهى لمكتب محمود بينما قال علي: تعرفي ده مين؟.

هزت رأسها نفيا فقال: ده إللي اتجوز أبلة هبة.

لاحت ابتسامة تقاوم الكآبة على وجه سهى، وهي تقول: بجد يا علي!! شكله طيب أوي هبة تستاهل كل خير.

أجلسها علي ثم قال: شكلك مش عاجبني يا سهى اوعي يكون بلاء ده مزعلك؟

ابتلعت ريقها بخوف وقالت: لا أبدا أنا بس جاية أقولك إني تميت تمنتاشر سنة وعاوزاك تكلمه يكتب عليا رسمي كنت فكرت أروح للمحامي إللي كتب لنا يكلمه بس مش مرتاحه له.

قال لها معاتبا: ليه يا سهى ملكيش راجل؟

بدأت تبكي فأسرع يضمها لصدره ويربت على رأسها بحنان.

ظلت سهى تبكي بحرقة تبكي ضعفها وذلها، تبكي خوفها و ضياعها وظل علي يحتويها بحنانه دون أن يطلب تفسيرا عن بكاءها، وبعد قليل طرق الباب ليدلف منه محمود الذي قال متعجبا: إنت مزعلها ليه يا علي؟.

نظر لها علي بحزن: أنا أزعلها دا أنا لو أطول أطلع روحه في إيدي بس هي تتكلم.

نظر محمود لها وقال بطيبة: مالك يأختي مين مزعلك جوزك؟

هزت رأسها نفيا وهي تبكي وتقول: محدش مزعلني أنا بس علي كان واحشنى.

نظر لها محمود بأسف فكما فهم من هبة أن زوجها يعاملها بقسوة، وأنها تخشى على علي من بطشه فقال ممازحا: واحشك إيه هو علي ده يوحش حد تعالي كل يوم وشك في وشه زيي كده مش هتكملي إسبوع.

ضحك علي حتى سهى ابتسمت من بين دموعها وقالت: ياريت يبقى وشي في وشه كل يوم.

عادت نبرة علي للوم وهو يقول: وحد حايشك مش أحسن من بلاء إللي إنت متجوزاه حد في الدنيا يتجوز واحد اسمه بلاء.

ضحكت سهى وقالت بلا وعى: وإنت الصادق ده إبتلاء.

سألها علي بحزن: وإيه جابرك على كده يا سهى؟ والله هشيلك في عنيا.

ربتت سهى على كتفه وقالت: شيلاك للزمن يا حبيبي أنا هامشي بقى ومش هأوصيك طول بالك عليه.

نهض علي يرافقها وهو يقول: علشان خاطرك أعمل أي حاجة يا سهى.

أسرع محمود يوقفها: الله هتمشي من غير ما تشربي حاجة أنا بعت الواد يجيب حاجة ساقعة دقيقة واحدة.

نظرت له سهى بخجل: معلش علشان ما أتأخرش.

أراد أن يبقيها لكن خشى عليها من بطش زوجها الأخرق فقال: مع السلامة

بينما توقفت لحظة لتقول: ابقى سلملي على هبة يا أسطى وخلي بالك منها هبة تستاهل كل خير.

هز رأسه براحة رغم كل ما تعانيه هذه الصغيرة توصيه على زوجته يا لهذا الزوج الغبي الذي تزوجته.

****

جاء علي إلى الورشة في اليوم التالي بوجه لم يره أحد من قبل وجه مكفهر حزين فنادى عليه عبدالله: علي تعالى عاوزك.

اتجه له علي: نعم يا أسطى.

أخفض عبدالله صوته وقال: مالك يا علي شكلك مش عاجبني النهاردة إنت عاوز فلوس ولا حاجة.

هز علي رأسه بسرعة: لا يا أسطى مستورة الحمدلله.

هنا أقبل محمود قائلا بحزم: تعالى ورايا يا علي عاوزك في المكتب.

توجه علي يتبع محمود إلى مكتبه فقال محمود: اقفل الباب

أغلق علي الباب ليسأله محمود مباشرة: ها عملت إيه مع علاء جوز أختك؟.

نظر له علي بتعجب وقال: وإنت تعرف منين يا أسطى

أجاب محمود بغضب: هبة كانت حكتلي قبل كده، ولما شفت أختك إمبارح عرفت أن هبة مش بتبالغ وأنا سألت عليه وعرفت كل حاجة أختك مش لازم تقعد على ذمة الحيوان ده.

نكس علي رأسه بانكسار: مش راضي الواطي يكتب رسمي بيقول مرتاح كده مش عاجبكم روحوا اشتكوا.

صمت محمود لحظة ثم قال: بص يا علي من الآخر الزفت ده مستوطي حيطة أختك وسايق فيها علشان عارف إن مفيش حد يقفله وإللي زي ده مش لازم تتفاهم معاه بالعقل.

أسرع علي يقول بغضب: أنا ممكن أمسك فيه وأبهدله هو أصلا مفهوش قلمين من الزفت إللي بياخده بس خايف مايقدرش عليا يروح يطلع غله فيها.

قال محمود بسرعة: طب اسمع مني الواد ده هنجيبه هنا هو والمحامي الزفت إللي كتب الورقة ياخدوا طريحة تمام، وما يطلعش عليه النهار إلا وكاتب عليها رسمي، وقتها هيخاف يقرب منها تاني وإحنا مش هنديله فرصة يقرب منها.

تسائل علي: ليه هنعمل إيه يا أسطى؟.

لم يجب محمود اكتفى بقوله: سيبها على الله روح إنت وابعت لي عبد الله وماتروحش هنسهر نتسلى على الحيوان ده.

خرج علي فأقبل عبدالله: أيوه يا محمود بعتلي؟.

نظر محمود لأخيه وقال بجدية: أيوه يا عبد الله في سواق ميكروباص في موقف.....عاوزك تروح تتفق معاه على مشوار الليلة واديله ميعاد هنا في الورشة على عشرة بالليل.

تعجب عبد الله وتسائل: مشوار إيه يا محمود!! إنت هتروح فين؟

محمود: يا أخي لا هروح ولا هاجي أنا عاوز الكلب ده اخترع أي سكة وهاته هنا وخلاص.

هز عبد الله رأسه: آمين بسيطة بس هو عملك إيه؟.

أجاب باختصار: هتعرف كل حاجة في وقتها وإنت راجع عدي على هبة وفهمها إني هتأخر النهاردة.

قال عبد الله: طب ما تتصل عليها أحسن.

رفض محمود الفكرة وقال: لو كلمتها هتقلق من صوتي قولها إن التليفون فاصل وأنا هقفله.

تحرك وهو يقول: حاضر ولو إني مش فاهم حاجة بس علم وينفذ.

***

-9-

دخل علاء من باب المنزل قبل موعده تفاجأت سهى بعودته الباكرة لم تكن قد أنهت إعداد الطعام وخافت من بطشه، لكنه على العكس دخل هادئا يبحث عنها بهدوء: إنت فين يا سهى؟.

أجابت دون أن تتحرك: في المطبخ بجهز الغدا.

لم تذهب إليه خوفا منه لكنها فوجئت به يدخل عليها المطبخ ويقف يحتضنها من ظهرها.

لترتعش خوفا فقال متسائلا: الله مالك؟.

لم تشأ أن تثير غضبه فقالت: مفيش أصلك خضتني .

بدأ يحرك كفه على بطنها وصدرها ويقول: طب اطفي النار وتعالي عاوزك في كلمتين.

بدأت تتعجب من أمره وهدوءه: إنت جرى لك إيه النهارده؟.

قال بخبث: تعالي معايا وأنا أعرفك.

سحبها من يدها لغرفة النوم ثم أجلسها فوق الفراش، أخرج من جيبه كيسا يحوي مسحوقا أبيض وضع كمية صغيرة على ظهر كفه وقربه من أنفها وهو يقول: إنت بردو حبيبتي ومش خسارة فيكي الغالي .

ارتعبت سهى وهي تهز رأسها وتقول: لا يا علاء الله يرضى عليك مش عاوزة.

مد كفه بإتجاه أنفها وهو يشجعها قائلا: اسمعي الكلام ده هيخليكي طايرة فى السما .

أبعدت رأسها بخوف: لا مش عاوزة ...مش عاوزة.

قربه من أنفه وهو يقول: إنت حرة طول عمرك فقريه وشم المسحوق من فوق يده.

رفع عينيه إليها ليضحك بصوت عالي ويقول: خسارة إن ورايا شغل بالليل ده صنف عالي أوي ...

وعاوز واحدة زيك تخدم عليه.

ارتجف قلبها رعبا من نظراته بينما قال: ملحوقة معايا يكفي تلت أيام خلينا في إللي إحنا فيه دلوقتي.

عادت للخلف بخوف من نظراته إليها: إنت مش بتقول وراك شغل؟

نظر لها علاء وقد بدأ يخلع ثيابه: أخوكي جالي الموقف النهاردة

شعرت بالخوف نزلت من فوق الفراش وقفت أمامه فقال: عاوزني أكتب عليكي رسمي

أسرعت تقول برجاء: مش إنت وعدتني بكده؟

ضحك علاء: وإنت صدقتي!! أصلك هبلة هههههه

ابتلعت ريقها بخوف: يعني إيه مش هتكتب عليا؟

بدأ يتحسس جسدها بشهوة ويقول: أنا ممكن أعمل إللي إنت عايزاه بس بكيفي مش خوف من المحروس أخوكي .

سهى برجاء: طب علشان خاطري اكتب عليا رسمي .

أسكتها بقبلاته المريضة ثم رفع رأسه عنها وهو يقول هامسا بفحيح مرعب: طاوعيني وأنا أعمل إللي إنت عايزاه موافقة.

هي تعلم مطلبه الذي يلح عليها به دائما، بل ويضربها أحيانا ليجبرها على الرضوخ له، لكنها تصر على الرفض، لكن لا مفر منه الآن ستتعاطى معه هذا السم وتسلم له جسدها بعد ذلك إن كان هذا مقابل عقد الزواج الرسمي ستفعله إذا.

هزت رأسها بانكسار وهي تقول بخفوت: أنا موافقة

أسرع فأخرج من جيبه الكيس ليقدم لها جرعة سامة شمتها من فوق كفه ثم أمسكت رأسها بألم فأسرع يضمها ويقول: معلش علشان أول مرة بس كده هتبقي أحلى بكتير.

وجذبها للفراش بينما بدأت تشعر بجسدها يترنح ليلقي بها أمامه وهي لم تعد تعي ما يحدث وربما كان هذا أفضل ما يحدث.

****

أنهى عبد الله ما كلفه به شقيقه واضطر لدفع مبلغ من المال لعلاء كاتفاق ليحضر في الموعد المحدد ثم توجه للمنزل لنقل رسالة أخيه إلى زوجته

طرق الباب فتوجهت هبة لفتحه: أهلا يا عبد الله خير يأخويا مش ميعادك؟

عبد الله وهو ينظر أرضا: معلش يا مرات أخويا بس محمود بيقولك ورانا شغل كتير وسهرة في الورشة ماتقلقيش عليه وإن غاب أوي اقفلي على نفسك كويس ونامي .

تعجبت فهذه أول مرة يتأخر محمود منذ زواجهما: الله طب مطلبنيش ليه! بعتك مخصوص؟

أسرع يخبرها بما قاله زوجها: أصل تليفونه فاصل.

شعرت بقلق: عبد الله بالله عليك أوعى يكون محمود تعبان ولا في حاجة؟.

نفى ظنونها فورا: لا والله يامرات أخويا هو كويس والله.

تنهدت براحة وهي تحمد الله ثم قالت: طب معلش استنى عشر دقايق أنا خلصت الغدا أجيبلك أكلكم علشان ما تاكلوش حاجة من الشارع.

أومأ برأسه: حاضر عيني وتسلم إيدك، أنا هستنى تحت ندهه واحدة تلاقيني عندك.

****

وصل علاء في الموعد المحدد فقابله عبدالله، وأجلسه في المكتب حسب تعليمات شقيقه حتى وصل محمود بصحبة المحامي الذي أوهمه محمود بكتابة عقد شراكة فحضر معه مرحبا.

دخل محمود يتبعه المحامي وما أن رأى علاء حتى توجس خيفة كذلك شعر علاء بالقلق...

وما هي إلا دقائق حتى دخل من الباب ثلاثة رجال أشداء هجموا على علاء والمحامي وقيدوهما

أقبل علي حين سمح له محمود فاتجه نحو علاء ليصفعه بقوة ويقول: هتكتب رسمي والا لأ.

يرفض بعند شديد: أنا ماتجوزش واحدة رضيت بالعرفي .

صفعه علي مرة أخرى وقال: مش إنت والزفت ده استفردتم بيها وأقنعتوها بالعرفي؟.

ابتسم باستخفاف وقال: مايخصنيش أنا ما أتجوزش واحدة رخيصة،

هنا لكمه عبدالله لكمه أدمت أنفه وهو يصيح: إنت بتتكلم عن مراتك يا حيوان.

ليصرخ بغضب: مش مراتي أثبتوا لو تقدروا أنا مرافقها وكل الجيران عارفين كده.

دفعه عبدالله ليسقط أرضا بالكرسي وهجم عليه هو وعلي يركلانه بغضب حتى صاح محمود: كفاية يا علي.

ليصيح علي بغضب: مش سامع بيقول إيه على أختي يا أسطى؟

هنا توقف عبد الله عن ضرب علاء وقال بتعجب: أختك هو الحيوان ده جوز أختك؟.

نظر له علي بتعجب أكبر: أمال إنت بتضربه ليه يا أسطى؟

لم يجب عبدالله بينما هو في الواقع لا يتحمل الإساءة للنساء أيا كانت.

نظر محمود له بحدة وقال: الأستاذ المحامي هو إللي هيقول إذا كنت اتجوزتها والا لأ؟.

شعر المحامي بالرعب من منظر علاء فقال: اتجوزها يا أسطى على إيدي والورقة عندي.

تسائل علي: ورقة الجواز عندك إنت؟.

هز المحامي رأسه وقال بسرعة: أيوه عندي في المكتب كانت خايفة يجي يوم وينكر الجوازة زي ما حماتها عملت قبل كده.

كان عبدالله يقف لا يعي شيئاً مما يحدث بينما قال محمود: علي روح هات أختك وهات مأذون وتعالى وإنت يا عبد الله خد الأستاذ هات منه الورقة العرفي وهاتوا معاك تاني.

خرجوا جميعا وظل محمود برفقة رجاله وعلاء، فأشار لهم فرفعوه عن الأرض ثم اقترب منه بخطوات بطيئة.

ظل يقترب منه بخطوات بطيئة حتى وقف أمامه، فاقترب برأسه من وجهه وقال: على فكرة إنت ممكن أوي ما تطلعش من هنا على رجليك لو ما سمعتش كلامي لكن لو طلعت حبيبي وعملت إللي هقولك عليه هتخرج من هنا مظبط وكيفك عندي إسبوع قدام.

نظر له علاء بعدم ثقة وقال: وأنا إيش ضمني أصدق ليه، وأنا معرفكش؟

أجاب محمود بهدوء: بسيطة نتعرف إنت شفت الوش الوحش الأول تحب تشوف الوش الحنين.

عاد للخلف وهو يخرج من جيبه كيسا يحوى مسحوقا أبيض وقال: نمرة واحد أعلى حاجة في السوق البيور من الآخر... تحب تجرب؟.

هز علاء رأسه وقال بهستيرية: أجرب أيوه أجرب.

نظر محمود لرجاله فهو كما ظنه تماما يتحكم فيه المخدر حتى النخاع فأشار لرجاله وقال: فكوه .

بعد دقائق كان علاء يجلس بترقب وأعين متسعة ينظر لمحمود برجاء حتى مد محمود يده بالكيس ليتناوله بلهفة أفرغ كمية صغيرة على ظهر كفه وقربه من أنفه ليشمه بلهفة وأمسك رأسه بعدها وهو يقول: إنت جايب الصنف ده منين ده صنف ولاد الذوات؟

استمر يتحدث بهدوء: ده الصنف إللي يليق بالناس إللي أحبهم ..ها هتسمع الكلام علشان أحبك .

هز رأسه بحزن: بس أنا مش عايز أتجوزها أنا عايز أذلها إللي زي دي لو حست بقيمتها هتتنمرد عليا ومش هعرف أحكمها.

جاهد ليتحكم بأعصابه وهو يقول: لا ما إحنا اتفقنا هتسمع الكلام اكتب عليها رسمي ولو عاوز طلقها بعد كده .

قال بلهفة: لا مش عاوز أطلقها دي الحاجة الوحيدة الحلوة في حياتي بس أنا بخاف تسبني علشان كده بخوفها وأذلها علشان تفضل نفسها مكسورة، وأفضل أتحكم فيها.

اقترب منه يسحب الكيس من أمامه ويقول: خلاص مادمت عاوزها اكتب رسمي علشان أنا ما أفتريش عليك.

ابتلع علاء ريقه بصعوبة ليقول: بس هي تهمك في إيه لامؤاخذة يا أسطى علشان تتصدر لها.

محمود بمراوغة: أبدا دي خدمة بعملها لعلي لأنك غلطان لكن لو صلحت غلطك، وكتبت عليها محدش هيتعرض لك تاني ولا علي نفسه.

بدأ علاء يهذى ويقول: إنت مش عارف أنا عملت إيه علشانها!!! علشان تبقى ليا لوحدي.

اقترب محمود يحثه على الحديث: عملت إيه..احكيلى

رفع عينيه له وقال: أنا قتلتهم كلهم .. قتلتهم علشان تفضل ليا ومحدش يشاركني فيها.

انقبض قلب محمود وهو يشير للرجال لينتظروا خارجا ويعيد له الكيس ويتساءل: هم مين إللي أقتلتهم؟.

تناول علاء الكيس ليشم جرعة أخرى ويقول: كلهم قتلت حسن ..وقتلت أبوها ..وقتلت ابنها ..كلهم ماتوا وأنا قتلتهم.

بدأ محمود يستدرجه بالحديث وبدأ هو يعترف بكل أفعاله، بينما يحترق قلب محمود هذا المريض كم أدمى من قلوب ليحصل على متعته المريضة!!

حبيبته قتل أخاها اااه لو تعلم لماتت كمدا وحزنا... وعلي قتل أباه غدرا حمدا لله أنه غادر لكان قتل هذا الحيوان دون تفكير ... وتلك المسكينة التي قتل حبيبها وزوجها ثم أبيها ثم طفلها الذي لم يرى النور بعد..

ياله من مريض، ويستحق تماما ما سيحدث له.

****

وصل علي لشقة علاء وبدأ يطرق الباب لكن بلا إجابة خرجت سيدة من الشقة المقابلة وقالت له: الأسطى علاء شايفاه خارج مش جوه بقاله يجي ساعة.

قال علي بغضب: مش عاوز زفت أنا عاوز أختي.

تمتمت السيدة وقالت: أختك هي البت دي تبقى أختك.

أجاب بحزن: أيوه للأسف مرات الحيوان ده تبقى أختي

ضربت على صدرها وقالت: مراته دا بيقول غير كده يا بني .

علي بغضب: علشان واطي وخسيس ورحمة أبويا لأطلقها منه علشان يفهم الناس إنها رفيقته، ويبعد الناس عنها علشان يستفرد بيها ويذلها.

نظرت له السيدة وقد بدأ البعض في التجمع والمشاهدة وقالت: وإنت سايب له أختك يبهدلها ليه؟.

نظر لها علي بقلة حيلة ولم يجب بينما أخذ يطرق الباب بعنف ويصيح: سهى افتحي يا سهى ماتخافيش أنا علي.

لكن بلا إجابة فنظر للسيدة وقال: ماشوفتيهاش خرجت يا حاجة؟

أجابته بهدوء: لا يابني أنا شايفاه خارج لوحده

اشتعل علي غضبا: أكيد عمل فيها حاجه الحيوان.

ورفع قدمه وبدأ بركل الباب وبعد عدة ركلات كسر الباب ليندفع علي مناديا باسمها: سهى ردي عليا إنت فين؟

دخلت السيدة خلفه لتصل لغرفة النوم فتشهق بصدمة توجه علي إليها فورا لتقف أمامه وهي تقول: لا يابني خليك هنا.

شعر بخوف شديد فقال بغضب: أختي مالها؟ فيها إيه؟ خليني أشوفها؟

حاولت تهدئته فقالت بأسف: هتشوفها يابنى طبعا بس اصبر شوية نلبسها هدومها.

نظر لها علي بصدمة وتراجع خطوات للخلف لتندفع بعض النسوة لداخل الغرفة ويغلقن الباب

فتقول إحداهن: يا لهوي هو عامل فيها إيه؟

فتجيب أخرى: راجل واطي صحيح حد يبهدل مراته كده؟

وتقول ثالثة: يالا نلبسها بسرعة أخوها هيتجنن بره

قمن بوضع ثيابها عليها وبدأن في محاولة إفاقتها لتفتح عينيها بعد دقائق وتقول: أنا فين إنتو مين؟

أجابتها إحداهن :إحنا جيرانك وأخوكي بره.

قالت بلهفة: علي هنا

حاولت النهوض لتسقط أرضا أسرعن إليها يساعدنها حتى خرجت وما أن رأت علي حتى قالت بلا وعي: علي إيه جابك هنا امشي يالا امشي بسرعة!

أسرع علي يلتقطها من بين أيادي النسوة وهو يقول بغضب: عمل فيكي إيه تاني؟ هتفضلي لحد إمتى تداري عليه؟ خايفة من إيه ردي عليا؟.

تساقطت دموعها وهي تقول: خايفة عليك يا علي هيقتلك هو قالي لو قلت لك حاجة هيقتلك.

شهقت إحدى الحضور وقالت: شوف الراجل الواطي.

علي: تعالي معايا يا سهى مش هترجعي هنا تاني

ترنحنت خطواتها لينحني يحملها ويسير تكاد خطواته تخترق الأرض من شدة غضبه.

****

وصل عبد الله مع المحامي إلى مكتبه ليفتح هذا الأخير خزنته الخاصة ويخرج منها ورقة يقدمها لعبدالله، فينظر إليها ليتأكد من فحواها ثم يقول: يلا قدامي.

حاول المراوغة فقال: وإنت عاوز مني إيه تاني يا أسطى الورقة في إيدك، وهو عندك إيه لزمة وجودي معاكم.

مد عبدالله ذراعه ليمسكه من ملابسه بقوة وهو يقول: لما أقول يلا امشي من سكات.

المحامي: حاضر يا أسطى ماشي أهو.

****

عادوا جميعًا إلى الورشة حيث علاء يجلس باسترخاء، وما أن دخل علي بسهى حتى أسرع عبد الله يحمل كرسيا، ويقربه ليجلسها فقد كانت في حالة مزرية بينما أقبل محمود: مالها يا علي؟!!

علي بغضب وهو ينظر لعلاء: معرفش الحيوان ده باينه ساقاها حاجة من القرف إللي بياخده.

هز محمود رأسه وقال: طب سبها أنا هفوقها وروح بسرعة هات المأذون.

حاول محمود مرارا إفاقة سهى بلا جدوى ليستسلم أخيرا ويقرر أن يعرض على المأذون ورقة الزواج العرفي ليعقد القرآن دون الاهتمام بحالة أي منهما وهذا ما حدث؟.

أحضر علي المأذون الذي قام بعقد القرآن وسرعان ما قال علاء: أنا عاوز مراتي .

تشبثت سهى بملابس علي دون أن تعي ما تفعل هي فقط مجرد سماع صوته يرعبها بشدة ليربت على رأسها بحنان، وهو يقول هامسا: ماتخافيش مش هسيبك معاه.

بينما يصيح علاء بغضب: هو ده إللي اتفقنا عليه يا أسطى إنت قلتلي لما اكتب محدش هيتعرضلي.

أجاب محمود بمراوغة: معلش روح إنت دلوقتي، وأنا بنفسي هأجيبها لحد عندك هتبات معاك الليلة.

دس علاء الأكياس الصغيرة في جيبه ورحل غاضبا، وهو ينظر لها بغضب متوعدا إياها بليلة عسيرة بينما أقبل أحد الرجال ليقول لمحمود بحزم: تمام يا أسطى.

نظر علي لمحمود بحزن: إنت بتقول إيه يا أسطى؟.

وقال عبد الله: ترجع له مين؟ إنت مش شايف عامل فيها إيه؟.

ظل محمود صامتا حتى سمع سيارة علاء تبتعد وقال بغضب: في إيه إنت وهو شايفيني إيه قدامكم؟!!! أنا رجل وأعرف كويس أوي أنا بعمل إيه.

نظر له كلاهما فقال: يلا اتفضلوا روحوها عند هبة هي هتاخد بالها منها.

تهللت أساريرعلي وقال: يعني مش هترجعها له يا اسطى؟.

محمود: أرجع مين يا علي إنت اتهبلت؟ يلا إعمل إللي قلت لك عليه.

قال عبد الله بخجل: وإنت مش مروح؟

أجابه باقتضاب: ورايا مشوار مهم لازم أعمله دلوقتي وإلا كل تعبنا هيروح على الأرض يالا مع السلامة.

أسند علي سهى وسار معها بخطوات بطيئة يسير عبدالله بجانبهما بهدوء

ثم نظر محمود أخيرا للمحامي الذي ينتظر مصيره وقال لأحد رجاله: ده يتحبس في المخزن لحد ما يعرف إن الله حق ويبطل القرف إللي بيشتغل فيه.

صاح المحامي برجاء: خلاص يا أسطى لا هجوز ولا أطلق بس سبني أروح لعيالي، لم يلتفت له محمود وغادر.

****

طرق الباب ونظرا لتأخر الوقت توجست هبة خوفا من فتح الباب، فأسرعت ترتدي إسدالها، وتقترب من الباب في هدوء لتعود طرقات خفيفة على الباب، وتسمع صوت همهمات بالخارج وشخص ما يتأوه بألم.

سقط قلبها خوفًا، وقالت بصوت مرتجف: مين بره؟

فجاءها صوت عبدالله ليزيح كل مخاوفها جانبا ويقول: أنا عبدالله يا مرات أخويا.

أسرعت تفتح الباب، وجم خوفها ينصب على محمود لتفاجئ بعلي يكاد يحمل سهى التي يرتخي جسدها كله عليه.

لتقول هبة بفزع: سهى مالها يا علي؟ جرى إيه يا عبد الله؟.

قال عبدالله: خلي بالك منها بس ومحمود هيفهمك على كل حاجة.

أسرعت تمد يدها لتسندها وهي تتوجه مع علي نحو غرفة النوم ليضعا سهى بالفراش وهي تتمتم: علي هتروح فين وتسبني يا علي؟.

ارتكز علي إلى ركبته وقال لها: ماتخافيش يا سهى إنت في بيت الأسطى محمود، وأبلة هبة معاكي وأنا هتفاهم مع أمي وآجي أخدك بكرة تقعدي معانا.

ابتسمت له ابتسامة واهنة ثم أغمضت عينيها لتنام كطفل صغير، بينما هب علي واقفا وهو يقول: معلش يا أبلة هبة هنتاقل عليكي النهاردة.

نظرت له بلوم وقالت: إنت بتقول إيه يا علي؟ دي من ريحة الغالي.

انصرف علي وتبعه عبدالله بعد أن تأكد من عدم حاجة هبة إليه.

****

استقل علاء سيارته وتوجه لأحد الأماكن المشبوهة التي يتردد عليها، ومكث هناك لساعتين وكان هذا وقتا كافيا ليقوم محمود بإبلاغ الشرطة أن علاء يعمل بالإتجار في المواد المخدرة،

وبالفعل تم نصب كمين لعلاء على طريق العودة إلى منزله ليتم القبض عليه، وبتفتيشه عثر معه على كمية من مادة الهيروين المخدر، ونظرًا للكمية تم تحديد القضية كإتجار وليس كتعاطي، فقد بدل محمود خطته بعد أن استمع لاعترافات علاء، ولأنه لن يتمكن من الإبلاغ عن قضايا القتل قرر الاقتصاص منه بطريقة أخرى.

عاد محمود إلى منزله دلف بهدوء لم يجد هبة بانتظاره، فاقترب من غرفة النوم وطرق الباب طرقة خفيفة فخرجت له فورا.

ألقت نفسها بين ذراعيه تبكي بصمت ربت على رأسها بحنان وهو يقول: في إيه بس حد زعلك؟

قالت بحزن: شفت سهى بقت عاملة إزاي حد يصدق أن دي عيلة تمنتاشر سنة لا راحت ولا جت!!.

زفر محمود بضيق فماذا لو علمت الحقيقة كاملة، فقال: هنقول إيه؟ يا هبة غلطة أبوها قبل أي حد تاني يالا الله يرحمه المهم إنت خلي بالك منها.

قالت بحزن: في عينيا دي من ريحة الغالي.

ابتسم محمود وقال مداعبا: وأنا لازم أموت علشان أبقى غالي أنا كمان ولا إيه.

نهرته بلهفة: بعد الشر عنك يا محمود ربنا يجعل يومي قبل يومك.

ضمها محمود بحب وقال: حرام عليكي ما تقوليش كده ربنا يديكي طول العمر.

صمت قليلا وقال بأسف: أنا هنام بقى في الأوضة التانية بس هاتيلي هدوم.

أسرعت تقول: أنا هاجي أنام معاك وخلي سهى براحتها هي شكلها مش هتصحى إلا الصبح.

استحسن محمود الفكرة وقال: ياريت أنا مبقتش أعرف أنام وإنت بعيدة عن حضني.

***

-10-

استيقظت سهى صباحا تشعر بآلام مبرحة تلفتت حولها، فلم تتعرف على المكان هبت بفزع تتحامل على نفسها فتحت باب الغرفة بهلع لتجد أمامها محمود ارتدت للخلف خطوة فشعر محمود بفزعها، لكنه اضطرب أيضاً فقد تحرك بحرية ظنا منه أنها ستنام لوقت متأخر لكن أتت هبة لتنقذ الموقف حين أقبلت وقد تهلل وجهها فرحا: سهى حبيبتي إنت صحيتي؟.

أسرعت سهى لهبة وكأنها انتشلتها من الغرق تتسائل: هبة إيه اللي جابني هنا؟.

استغل محمود الفرصة وأسرع للغرفة يرتدي ملابسه بينما قالت هبة: تعالي يا حبيبتي ماتخافيش علي جابك بالليل هو وعبد الله كنتي تعبانة أوي إنت مش فاكرة؟.

أمسكت سهى رأسها بألم وقالت: آه دماغي مين عبد الله؟ أنا مش فاكرة غير إني كنت في البيت وعلاء رجع و....

صمتت سهى فقالت هبة: إمبارح بالليل عبدالله أخو محمود جوزي هو وعلي أخوكي جابوكي وكنتي مش دارية بالدنيا زي ما تكوني شاربة حاجة.

انتفضت سهى بخوف وقالت: أنا لازم أروح علاء هيموتني .

خرج محمود من الغرفة ليقول: ماتخافيش يا سهى علاء أكيد اتقبض عليه.

ابتسمت رغما عنها: اتقبض عليه ليه؟

محمود: علشان كان معاه هروبين وأنا بلغت عنه.

هبت هبة أيضا تتسائل: إنت إللي بلغت عنه يا محمود؟

أجاب محمود: أيوه وكلها كام يوم يا سهى وترفعي عليه قضية طلاق، وبعد كده عيشي حياتك من غير خوف.

نظرت له سهى بحزن: حضرتك عملت كده علشاني؟.

قال ببساطة: مش أنا إللي عملت أخوكي إللي عمل هو إللي لحقك إمبارح كان زمانك ميتة هو الحيوان ده اداكي إيه؟!

شعرت سهى بالخجل من نفسها: مش عارفة بودرة.

قال محمود بقلق: ودي أخدتيها كام مرة؟

قالت بسرعة: مرة واحدة إمبارح بس لما وعدني إني لو سمعت كلامه هيتجوزني رسمي.

هز محمود رأسه بأسف وقال: عموما هو اتجوزك رسمي إمبارح وهو مروح اتقبض عليه وخلاص انسي... الصفحة دي من حياتك اقفليها.

ونظر لهبة وقال: حبيبتي مش هتفطرني النهاردة ولا إيه؟

أسرعت هبة تقول بسعادة: إزاي وأنا أقدر حالا الأكل جاهز.

****

في منزل علي بينما يحاول استعطاف قلب أمه ليبدأ يتحدث بهدوء: ماما أنا هجيب سهى أختي تقعد معانا.

قالت إعتماد بحدة: لا طبعا تقعد معانا فين أنا قلت عمرها ما تخش لي بيت.

اقترب علي ليجثُ على ركبتيه أمام والدته ويقول بأسى: إنت ليه بتكرهيها كده مش كفاية إللي عملتيه فيها طول عمرك حرام عليكي يا ماما لولا إنك طردتيها من بيت أبوها مكنش جرى لها ده كله.

إعتماد بتلعثم فهي تعي صدق ما يدعيه ابنها: وأنا هكرها ليه يعني؟ لا أحبها ولا أكرهها.

نظر لها علي نظرة ثاقبة وقد قرر التحلي بالقسوة لتفيق أمه من غفوتها، وتنفض سحابة الحقد عن قلبها فقال: أقولك أنا بتكرهيها ليه علشان بنت واحدة تانية بتكرهيها كرها في أمها حرام عليكي يا ماما أمها ماتت وأبويا إللي كنتي بتكرهيها علشانه كمان مات ارحميها بقى

بدأت تبكي وتقول: أبوك مات بسببها.

هز رأسه بأسف: أستغفر الله العظيم، يا ماما أبويا مات لأن ده أجله ودي موته هتعترضي على أمر ربنا.

هزت رأسها وبدأت تبكي بحرقة وهي تقول: بس أبوك طول عمره بيحب أمها ماحبنيش.

أسعده مواجهتها للحقيقة فقال: كنتي حاسبتيه هو ..الغلبانة دي ذنبها إيه الدنيا كلها تيجي عليها كده.

بدأ قلب إعتماد يلين لحديث علي الذي قال: يا ماما دا ربنا وصانا على اليتيم ودي بقت يتيمة أم وأب وربنا بلاها برجل سود عيشتها إنت لو شوفتيها مش هتعرفيها علشان خاطري بلاش أنا علشان خاطر أبويا مش إنت كنتي بتحبيه؟.

قالت من بين دموعها: الله يرحمه كان ضي عنيا.

أسرع يقول: يبقى تكرميها إكراما ليه علشان لما تقابليه بعد العمر الطويل تقوليله حافظت على الأمانة دي بقى لها سنتين يا ماما مستحملة الذل والإهانة علشان خايفة عليا من الحيوان جوزها إللي إنت السبب في جوازها منه.

إعتماد وهي تمسح دموعها: خلاص يا حبيبي هاتها أهي تبقى وسطنا وخلاص طب والمخفي إللي متجوزاه هتعمل فيه إيه اوعى يا علي يأذيك؟

قبل علي رأس أمه بسعادة وقال: ربنا يكرمك يا ماما ماتشليش هم جوزها أنا هتصرف معاه.

****

صعد عبد الله بعد أن طلبه محمود لتناول وجبة الإفطار كالعادة جلسوا جميعا إلى الطعام، فقال عبد الله وهو ينظر أرضا: عاملة إيه دلوقتي يا ست سهى؟.

قالت سهى بخجل: الحمد لله بخير معلش تعبتكوا معايا.

أجاب بأريحية: لا ماتقوليش كده إحنا تحت أمرك أي وقت.

هنا طرق الباب فتوجه إليه عبدالله بخفة وكان الطارق علي

ابتسم له عبد الله: أهلا يا علي تعالى اتفضل.

فقال علي بخجل: الله يكرمك يا أسطى أنا بس عايز سهى لو صحيت يعني.

أسرعت سهى على صوت أخيها لترتمي بين ذراعيه كأنها لم تراه منذ زمن وتقول: علي يا حبيبي يا علي وحشتني أوى.

ضمها علي بحنان وقال: إنت كمان يا سهى وحشتيني أوى يالا أنا جاي أخدك على البيت.

ابتعدت عنه بخوف: بيت!!! بيت مين؟ الأسطى قالي إن علاء اتقبض عليه.

شعر بالحزن لأجلها لقد فقدت الثقة في الجميع فقال معاتبا: وأنا بردو هوديكي بيت الحيوان ده بإيدي!!.

تسائلت بتعجب: أمال هتوديني فين؟

قال ببساطة: بيتك يا سهى بيت أبوكي .

نظرت له بتعجب فقال: وماما مستنياكي وبتقولك ارجعي بيتك.

تهلل وجهها الهزيل فرحا بينما أقبل محمود قائلا: لا يا سي علي هي مش هتمشي من هنا إلا لما تفطر.

قال علي بخجل: مالوش لزوم يا أسطى كتر خيرك هنفطر بقى في البيت.

محمود بإصرار: لا يمكن عيب عليك يا أخي يالا تعالوا.

****

غادرت سهى برفقة أخيها لم تشعر بهذا الأمان منذ سنوات، ولم تشعر بهذه السعادة كانت تسير لجوار علي الذي أمسك يدها بحنان وظل يبتسم لها حبا حتى وصلا إلى المنزل.

لم تصدق إعتماد عينيها وهي ترى سهى وقد هزل جسدها وشحب وجهها حتى عينيها الخضراوين فقدتا بريقهما تألم قلبها واشتد عليها عذاب الضمير

أقبلت عليها بوجه حزين تقول: إزيك يا سهى عاملة إيه يا حبيبتي؟.

نظرت لها سهى بخوف: الحمد لله يا مرات أبويا.

فتحت ذراعيها وضمتها وسط تعجب سهى من أمرها ثم قالت بحنان: إنت فطرتي؟.

هزت رأسها: الحمد لله.

نظرت لابنها وقالت: روح إنت يا علي شوف مصالحك وسهى معايا.

تحرك علي للخارج وهو يقول: مش هوصيكي عليها يا ماما أنا رايح أكتب إستمارات الثانوية.

ابتسمت إعتماد وهي تقول: تعالي بقى ادخلي استحمي وأنا هجيب لك غيار من عندي على ما تجيبي هدومك قادرة ولا أدخل معاكي؟

كانت سهى لا تزال بحالة من الصدمة، وعدم التركيز فهي لا تصدق أن هذة المرأة هي نفسها زوجة أبيها التي طالما سقتها الهوان.

تحركت سهى إلى الحمام فتحممت، وبعد قليل طرقت إعتماد الباب وقالت لفي نفسك بالبشكير يا سهى ودلفت لتساعدها في ارتداء ملابسها وقلبها يأن ألما لما ترى على جسدها من آثار وحشية خرجت من الحمام لتصحبها للفراش، وتقول اقعدى قدامي كده أسرح لك شعرك ونامي بقى لما تصحي لوحدك.

تساءلت سهى: وشغل البيت مين يعمله؟

هزت رأسها بلامبالاة وهي تقول: يأختي يعني ورانا المشاغل ارتاحي دلوقتي وربنا يحلها.

وتعجبت أكثر وهي تدثرها بالفراش وتربت على رأسها بحنان لم تعرفه سهى منها قبل.

أما إعتماد فقد شعرت أن ابنها أنقذها من ظلمها من شيطان نفسها وعزمت على التوبة لله، وتعويض سهى عما عانت منه، وقد كان لها الدور الأكبر في عذابها عليها أن تكفر عن هذا الذنب قدر استطاعتها.

****

مرت الأيام إعتماد تهتم بسهى حتى إنها ذهبت بنفسها إلى المدرسة لتسأل عن إمكانية إكمال سهى لدراستها، وسعدت حين علمت أنه بإمكانها إعادة القيد بل ودفعت لها المصروفات من مالها الخاص، ورفضت تماما أن تخرج سهى للبحث عن عمل.

تقدم علي لامتحان الثانوية العامة ونجحت سهى في اختبارات الصف الثاني التجاري، ولم يكن طلاقها من علاء بالأمر الصعب بل نظرا للتهم الموجهة إليه، والتي يواجه لأجلها حكما يصل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة فقد حكمت المحكمة بطلاق سهى من الجلسة الأولى.

وتبدلت حياتها بين ليلة وضحاها من ذل وألم وامتهان وانتهاك إلى محبة وراحة وعز وكرامة.

أخيها يعمل كادحا مساءً ليوفر لها ما تحتاج إليه بل وإنه أغلب الأوقات يعود للمنزل يحمل لها الآيس كريم أو قطع الحلوى الخاصة بالأطفال، فهي لم تعش طفولتها بفضل أمه، وعليه أن يعوضها عن ذلك.

اجتاز علي اختبارات الثانوية العامة بمجموع يؤهله لكلية من كليات القمة كان بإمكانه الالتحاق بكلية الهندسة ببساطة لكنه فضل عدم الالتحاق بكلية عملية ليتمكن من الاستمرار بالعمل.

علمت زينات بعلاقة هبة بسهى فرفضت استقبال ابنتها بمنزلها، وقامت بطردها حين أتت لزيارتها بكت يومها هبة كثيرا، وظل محمود يدعمها ويطلب منها أن تستمر في السؤال عن أمها، وتفقد أخبارها وأن تدعو لها بالهداية فمثل هذه السيدة تحتاج حقا للكثير من الدعاء.

****

بعد مرور ستة أشهر

عاد محمود من الورشة دلف للشقة فكانت تسبح في هدوء لم يعتاد عليه أين هبة لما لم تقبل عليه بوجهها البشوش؟.

بدأ يتجول بالشقة بحثا عنها ليجدها نائمة تغط في نوم عميق ترى ما أصابها اليوم ليس النوم في هذا الوقت من عاداتها.

تفقد المطبخ فلم يجد طعاما وزاد تعجبه فهي إذا نائمة منذ وقت طويل لا بأس لعلها تشعر بالتعب سيحضر بعض الطعام إذا ثم يوقظها

نزل للأسفل ليقابله عبدالله الذي تعجب وتسائل: على فين يا محمود؟!!

قال محمود: رايح أجيب غدا هبة نايمة شكلها تعبان مجهزتش أكل.

قال بعتاب: طب مش تصحيها تطمن عليها.

نظر له محمود وقال ببساطة: ما أنا قلت أجيب أكل وبعدين أصحيها خليها ترتاح شوية.

قال عبد الله: لا اطلع إنت خليك جنبها وأنا هروح أجيب غدا.

توجه عبدالله للخارج بينما صعد محمود مرة أخرى توجه إليها مباشرة، وبدأ يداعب وجهها بحنان: بيبي حبيبتي اصحى.

قالت هبة بتثاقل: شوية بس شوية.

ابتسم محمود وقال: بيبي إنت بتحلمي قومي يا قلبي إنت نايمة من إمتى؟.

فتحت عينيها ببطء وقالت: إيه ده إنت جيت بدري ولا إيه؟.

نظر لها بحنان وقال: لا يا ستي أنا جاي في ميعادي إنت شكلك نايمة من بدري!.

جلست هبة وهي تتثائب: آه يا محمود نمت الضهر.

فتحت عيونها على اتساعهما وهي تهب جالسة: يا خبر أنا مجهزتش غدا.

ربت على كتفيها بذراعه وقربها منه قائلا بحنان: طب بالراحة مش مهم عبدالله راح يجيب أكل من بره المهم إنت مالك حاجة تعباكي؟.

أخفضت رأسها وقالت: معلش حسيت جسمي بيوجعني ونمت مدرتش.

محمود وهو يزيدها قربا ويقول بحنان: طب قومي نشوف دكتور قومي يالا البسي.

قالت بخجل: لا مالوش لزوم.

تعجب لأمرها: ليه طيب يا ستي نطمن لو مفيش حاجه الحمدلله.

اكتسى وجهها بحمرة الخجل: أصلي أنا عارفة مالي أصلي الظاهر كده

قاطعها بقلق: مالك يا بيبي؟

قالت بصوت هامس: أنا حامل.

حدق محمود في وجهها للحظات ثم انفرجت شفتيه عن إبتسامة واسعة وهو يقول: حامل بجد متأكدة.

هزت رأسها بخجل فاقترب يحيطها بكلتا ذراعيه بسعادة غامرة ويقول: ألف حمد وشكر لك يارب، أنا فرحان أوى يا بيبي أوى.

هبة: ربنا يفرح قلبك كمان وكمان يا محمود.

قبلها برقة وهو يهمس: ربنا يديمك نعمة في حياة محمود يا قلب محمود

****

صحب علي سهى يوم إجازته لمشاهدة فيلم بإحدى دور العرض السينمائي وقد سعدت سهى كثيرا بصحبته رغم ما عانته من زوجها السابق إلا أن أخيها تمكن من إقصاء هذه الآلام لتعود سهى تبتسم، وإن كانت ابتسامتها خائفة إلا أنها تشعر بالأمل يتسرب لحياتها التي ظنتها قد انتهت إلا أن الأمل في الغد لازال موجودا، ومع كل السعادة التي يحاول علي جاهدا أن يدخلها إلى حياتها ورغم أنها تكون بصحبته سعيدة كذلك صحبة إعتماد أصبحت تراها صحبة جيدة، رغم كل هذا حين تدلف ليلا لفراشها ترى أمامها ما مر بحياتها القصيرة، فهي لم تتم التاسعة عشر بعد وتزوجت مرتين إحداهما كفيلة بإنهاء حياة أي امرأة كأنثى.

لم تتم التاسعة عشر واغتالوا براءتها وقتلوا طفولتها ...

لم تتم التاسعة عشر وتنام ليلا تبكي هموما أثقلت قلبها تبكي براءة فقدت وكرامة جرحت وجسد انتهك وإنسانية استباحت ...

وحين يأتي الصباح وترى حنان أخيها وتتمتع برعاية من زوجة أبيها ليتها كانت في الصغر تشعر أن الغد قد يكون أفضل ويوما بعد يوم جفت الدموع،

ويوما بعد يوم هدأت الآلام...

ويوما بعد يوم شفيت الجروح ولم يبقى منها إلا آثار ظاهرة لكنها في الواقع غير مؤلمة...

****

مرت الأيام يستعد علي لامتحانات العام الجامعي الأول، بينما تستعد سهى لامتحان الثانوية التجارية، أما هبة فهي على وشك الوضع بين يوم وليلة ورغم ذلك تمتنع زينات عن استقبالها أو زيارتها.

توجهت هبة لزيارة أمها فقد كانت تشعر ببدء آلام الوضع، ورغبت في استرضاء أمها التي أغلقت الباب دونها بلا رحمة يا أمّا افتحي حرام عليكي هو أنا عملت إيه علشان القطيعة دي كلها؟

قالت زينات بحقد: إنت لسه مش عارفه عملتي إيه؟ فتحتي بيتك للبومة دي بيتي متحرم عليكي.

قالت برجاء: يا أمّا مهما كانت دي مرات حسن الله يرحمه مش كفاية إللي عملتيه فيها، وهو عايش ورمتيها بعد ما مات حرام عليكي يا أمّا افتحي أنا مش قادرة أقف

قالت زينات بقسوة: أنا مقلتلكيش اقفي

أوشكت على البكاء من الألم وهي تقول: يا أمّا أنا بولد حرام عليكي دخليني.

لا رد عادت تطرق الباب: أمّا يا أمّا...

لا رد فهبطت درجات السلم بمشقة، ونظرا لازدياد الألم قررت أن تستنجد بزوجها أمسكت هاتفها واتصلت به فسرعان ما أتاها صوته: أيوه يا هبة إنت كويسة؟

قالت بصوت متألم: تعبانة أوي يا محمود.

تسائل بلهفة: طب إنت في الشقة ولا روحتي لأمك؟

بدأت تجاهد ألا يصله بكائها وهي تقول: كنت عندها ودلوقتي في الشارع مش قادرة أمشي.

انتفض واقفا بفزع: طب استني مكانك أنا جاي أهو.

وانطلق محمود بلهفة ليوقفه عبد الله: مالك يا محمود؟

أجابه دون أن يتوقف: هبة تعبانة أوي وفي الشارع مش قادرة تتحرك

ليلحق عبدالله بأخيه فورا.

***

-11-

أنهت هبة المكالمة وهي تستند إلى أحد الجدران، فإذا بسهى تقبل عليها فتفزع لهيئتها وبكاءها: هبة مالك يا حبيبتي فيكي إيه؟!!

قالت بضعف وصوت متقطع من شدة البكاء: أنا بولد يا سهى تعبانة أوى.

أسرعت تحني رأسها وتجذب ذراعها لتضعه على كتفها: طب اسندي عليا عاوزة تطلعي فوق؟.

على ما تشوف دكتور؟! هبة: لا أمي مش راضية تفتحلي هستنى محمود هنا.

أسرعت سهى تتحرك معها بتثاقل: طب تعالي اسندي عليا واستنيه عندنا ماتقفيش وإنت تعبانة كده.

استندت هبة لذراع سهى واتجهت معها لمنزلها

فتحت إعتماد الباب الذي يطرق بشدة لتفزع لمنظر هبة: يا قلب أمك دي شكلها ع الآخر.

تسندها سهى إليها وهي ترتعش: مش عارفة أنا لقيتها تعبانة أوي جبتها بدل الوقفة في الشارع.

تربت على ظهرها وتقول بحنان: طب تعالي معايا ما تخافيش.

حاولت هبة أن تجلس لتهب واقفة وتقول: لا مش قادرة.

قالت إعتماد بحنان: قلت لك يا بنتي تعالي الله يهديكي افردي ضهرك وجوزك لما يجي هنشيلك.

انصاعت هبة نظرا لشدة الآلام التي تشعر بها، وتمددت بمساعدتها على الفراش ولم يمر خمس دقائق حتى وضعت مولودها بمساعدة إعتماد.

شحب وجه سهى وهي تنظر للصغير الذي لازال يتصل بأمه بحبله السري لتوكزها إعتماد بقوة وحزم: لا مش وقت خوف اجري شوفي جوزها فين يجيب دكتور ويجي على هنا

أطلقت سهى ساقيها للريح تعدو باتجاه الورشة لتجد محمود وعبدالله في الشارع يتلفت كل منهما حوله.

فيقول عبد الله: يمكن طلعت عند أمها.

رفض محمود الفكرة: كانت فوق ونزلت، أسرعت سهى نحوهما وهي تقول بفزع: أسطى محمود الحقنا يا أسطى.

نظر لها ولفزعها وقال بقلق: في إيه تاني؟

سهى وهي تلهث: هبة ولدت

ازداد فزعا: ايه ولدت إزاى!!!! وولدت فين؟

قالت بسرعة: عندنا في البيت وعاوزين دكتور.

تحرك عبد الله: أنا رايح أجيب دكتور.

انطلق عبدالله وأسرع محمود وسهى عائدين إلى المنز.،

بعد ساعتين تقول إعتماد: يا أسطى كنت سبتها هنا النهاردة مش هتقدر تمشي.

نظر لها بامتنان وقال كتر خيرك يا ست إعتماد أنا مش عارف أودي جميلك فين اديكي سمعتي الدكتور لولا إللي عملتيه كان الواد راح لا سمح الله.

أسرعت تقول: يتربى في عزك يا أسطى أنا معملتش حاجة دي تساهيل ربنا.

محمود: عبدالله شيل حسن وأنا هشيل هبة.

اتسعت عينا عبدالله بفزع وقال: لأ لأ مش هعرف اشيله يقع مني لأ مش هعرف.

كان الخوف باديا على وجه عبدالله، فقالت سهى بسرعة: أنا هشيله.

حمل محمود زوجته النائمة، وهبط بها إلى السيارة وحملت سهى الصغير وركبت معه، وصلوا للمنزل فعاد محمود يحمل هبة ليصعد بها وهي تتأوه ولاتشعر بشيء، وهبطت سهى تحمل حسن تضمه لصدرها، وصعدت برفقته حتى وضعته لجوار أمه، وهمت بالمغادرة لكنها توقفت وقالت: أنا ممكن أبات معاها حضرتك مش هتعرف تراعيها.

شعر براحة كبيرة لهذا العرض السخي وقال: كتر خيرك يا سهى أنا بس مش عارف ممكن أعمل إيه أو هي محتاجة إيه.

قالت بهدوء: خلاص أنا هبات معاها بس كلم علي أخويا وقوله علشان يطمنوا عليا.

قال براحة: كتر خيرك خلاص أنا هاخد غيار وأنزل أنام مع عبد الله وإذا احتجتوني بالليل نادي علينا.

قالت بابتسامة: حاضر إن شاء الله مش هنحتاج حاجة.

****

أفاقت هبة قرب الفجر لتجد سهى تجلس تهدهد حسن برقة بالغة، فقالت بضعف: سهى حبيبتي إنت هنا أنا جيت إزاي البيت؟،

رفعت سهى رأسها وابتسمت لها وقالت: الأسطى محمود شالك وجابك وأنا شلت حسن، قالت هبة بلهفة: حسن؟

أجابتها سهى بابتسامة: أيوه الأسطى سماه حسن يتربى في عزك يا هبة.

شعرت بسعادة كبيرة وقالت: ربنا يكرمك يا محمود هاتيه يا سهى عاوزة أشيله.

****

طرق الباب صباحا فأسرعت سهى لتجد محمود وعبدالله

محمود وهو يدخل بلهفة: بيبي وأبو على صاحيين.

سهى بابتسامة: صاحيين يا أسطى اتفضل.

توجه محمود للغرفة بلهفة: صباح الفل يا أم حسن.

ابتسمت له: يسعد صباحك يا أبو حسن.

مد ذراعيه بلهفة: هاتي الواد ده وحشني من إمبارح.

ناولته الصغير ليتلقاه بفرحة حين دلفت سهى تقول: الأسطى عبدالله بيستأذن يدخل، وضعت هبة حجابها فدخل عبدالله: صباح الخير يا مرات أخويا حمد الله على سلامتك.

ابتسمت له بود وهو ينظر أرضا كعادته: الله يسلمك يا عبد الله عقبال ما نشيلك.

ليضحك محمود: لا من ناحية هتشيلي فهتشيلي الاستاذ بيخاف.

نظر له عبدالله بعند وقال: مابخافش طب هاته كده.

ناوله له محمود بسرعة فاضطرب عبدالله، وارتعشت يده وشحب وجهه وقال: لأ لأ خده يا محمود خده بسرعة.

حمل محمود الصغير وسط ضحكات الجميع على خوف عبدالله، ثم قالت له هبة: طب اعمل حاجة مفيدة ووصل سهى.

عبد الله: ماشي دي سهلة بس إنت هتروحي ليه خليكي يومين؟

أسرعت هبة تقول: ماهي هتجيب حاجات وتيجي وتستناها مش هتقدر تشيل لوحدها وأهو تشيل أي حاجة.

ليضحك الجميع بينما يقول عبد الله بسعادة: حاضر يا أم حسن من عنيا.

قالت سهى بود: مش هتأخر عليكي والأسطى معاكي على ما أرجع،

وغادرت بصحبة عبدالله.

تنحنح عبد الله: إنت منورانا اليومين دول والله.

قالت ببراءتها الفطرية: الله ينور عليك منور بأهله.

جازف عبد الله وهو يقول: ياريتك تنوري عندنا علطول.

قطبت سهى جبينها دليلا على عدم الفهم فقال عبد الله: تتجوزيني؟

اضطربت سهى وشحب وجهها وهي تقول: جواز لأ لأ مش هتجوز مش عاوزة.

فزع عبد الله: الله إنت مالك خوفتي كده ليه طب ماتزعليش خلاص اهدي .

تنهدت سهى بألم شديد وقالت: سامحني يا أسطى أنا مشفتش شوية.

عبد الله: عارف يا سهى عارف ومستعد استناكي لما كل ده يتنسي.

نظرت له سهى بتعجب: تستناني هتوقف حياتك علشاني؟

ابتسم عبدالله: أنا حياتي واقفة من يوم ما رفعت عيني وشوفتك أول مرة.

****

مرت الأيام والشهور وعبد الله يزداد شغفا بسهى، لكنه يخشى الضغط عليها أما هى فقد أنهت دراستها الثانوية، والتحقت بأحد المعاهد الوسطى ظل أكثر من عام منذ حديثه معها ينتظر أن تمنحه إشارة ليخطُ نحوها حتى ظن أنها قد نسيت أو تناست أمره كان يتابعها عن قرب دون أن يتعرض لها

في مساءأحد الأيام

دخل عبد الله إلى شقة محمود لتناول الطعام وهو ينظر أرضا كعادته، فوجد الصغير حسن يتجه إليه بخطوات مرتعشة، تلقاه بحب حقيقي وهو يقول: أهلا يا أبو علي تصدق يالا بتوحشني الشوية إللي بقعدهم في الورشة.

أقبلت هبة: يأخويا شد حيلك وشوفلك عروسة بقى خلينا نفرح بعيالك.

بدا الألم على وجه عبدالله فقالت هبة: الله مالك يا عبد الله؟

نظر له محمود وقال: في إيه يا بني طبيت ولا إيه.

عبد الله: مش مهم إني أحب المهم إن إللي أحبها تحبني وهي ماحبتنيش.

قالت هبة: لا دا الموضوع كبير تعالى هنا اقعد واحكِ.

جلس عبد الله يقص عليهما ما أخبر به سهى وما كان منها ثم قال: ومن يومها وأنا مستني منها إشارة حتى مفيش كل ما أشوفها رايحة ولا جاية مع علي قلبي يتعلق بالأمل لكن في ثواني الأمل بيموت.

ابتسم محمود وقال: وإنت بقى مستنيها تديك إشارة وساكت مابتعملش غير إنك مستني.

عبد الله: ما أنا خايف أضغط عليها تخاف مني وتكرهني .

هبة: والله يا سلفي إنت طيب زيادة عن اللزوم الست مننا لازم تحس بحب الراجل لازم حبك يحاوطها يحاصرها ما تلاقيش طريق غيرإنها تقرب منك لكن تستنى وتراقبها من بعيد هيجي إللي يلطشها منك.

ابتسم محمود وقال: هبة معاها حق إزاي عاوزها تديلك إشارة هي أصلا زمانها مفكرة إنك رجعت في كلامك، أوغيرت تفكيرك، وزمان عقلها رسم لها ميت صورة عنك يا سبتها علشان ظروفها يا سبتها علشان واحدة تانية يا سبتها علشان كنت بتلعب أصلا ليه يا عبد الله تعمل في نفسك وفيها كده.

عبدالله باضطراب: والله مش قصدي أنا فاهم إني كده بديها فرصة تفوق من جروحها.

هز محمود رأسه معترضا وقال: إنت لازم تتكلم معاها تاني وتاني لحد ما توافق ماتتنازلش عن حبك ببساطة كده وتقول مستني ولحظة ما تحس بالقبول ما تستناش تسمعه كلم أخوها علطول علشان تعرف إنك جد مش بتلعب بيها.

تؤكد هبة حديث زوجها: محمود معاه حق إللي زي سهى تخاف من أي رجل يقرب منها وتفترض سوء النية لازم إنت بقى تأكد لها حسن نيتك.

استمع إليهما عبدالله وظل طوال ليله المؤرق يفكر كيف يتحدث إليها إنه يخجل من التطفل عليها، وكيف ينظر بعيني شقيقها حين يتحدث إليها في الخفاء وتمكن أخيرا من قراره وصمم على تنفيذه.

توجه عبدالله باكرا إلى الورشة فلاقى علي فتوجه إليه من فوره: علي كويس إنك هنا

نظر علي متعجبا من هيئته: خير يا أسطى.

قال عبد الله: بص أنا مليش في اللف والدوران فمن الآخر كده أنا عايز أتجوز أختك سهى.

نظر له علي بتعجب وقال: عاوز إيه يا أسطى؟

عبد الله: عاوز أتجوزها على سنة الله ورسوله بس أنا مش بطلبها منك دلوقتي.

علي ولم يفق من صدمته: أمال قصدك إيه دلوقتي؟

قال عبد الله: أنا بقولك علشان هروح أقابلها عند المعهد لازم أتكلم معاها وأقنعها تقبل الجواز ومقدرش أعمل كده من وراك.

بدأت ملامح علي تلين فقد شعر بصدق عبدالله فقال: طب ليه ماتجيش تقابلها في البيت.

رفض عبد الله الفكرة: مش عاوز تحس إني بفرض نفسي عليها عاوزها تفهم إني بحبها هي وعاوزها هي بالذات مش أي جواز يعني مفيش حد يقدر ولا ينفع يكون مكانها.

تسائل علي: وفرضنا إنها رفضت.

أطرق عبدالله قليلا ثم قال: بردو مش هستسلم مسيرها تحس بيا.

ابتسم علي وقال: روح يا أسطى روح قابلها أنا متمناش ليها أرجل منك أبدا ربنا يهديها لك.

ابتسم عبدالله وقال: طب أنا ماشي بقى زمانها رايحة المعهد.

****

كانت سهى تتوجه نحو بوابة المعهد حين أوقفها صوت عبدالله: سهى استني عاوزك في كلمتين.

سهى وهي تتلفت حولها بخجل: أسطى عبد الله خير.

اقترب عبد الله: إزيك يا سهى.

أجابت بخجل: الحمد لله.

تلعثم قليلا وهو يقول: أنا كنت عاوز أسألك لو تفتكري كنت طلبت منك طلب يوم ما اتولد حسن.

قالت بخجل: يااااه إنت لسه فاكر!!!

شعر حينها بمدى خطأه: والله فاكر ما روحتي من بالي ثانية بس كنت فكرتك نسيتي .

أخفضت رأسها خجلا وقالت: وأنا فكرتك نسيت أو ندمت.

قال بأسف: أنا فعلا ندمت دلوقتي ندمت إني ساكت من يومها وأنا بسألك تاني يا سهى ولازم أعرف رأيك والله أنا طالب الحلال، عاوزك معايا كل ثانية في عمرى قلتي إيه؟

زاد تورد وجهها وهي تقول: الحلال ينطلب في البيوت يا أسطى مش في الشارع.

تهلل وجه عبد الله بسعادة: يعني إنت موافقة صح كده، إنت موافقة... طب بصي استني زي ما إنت هروح أقول لعلي إنك وافقتي ها

رفعت سهى رأسها وقالت متسائلة: علي!!! هو علي عارف إنك جاى هنا؟

عبد الله وهو يحاول تمالك نفسه: آه عارف مكنتش أقدر أجي أشوفك من ورا أخوكي أنا رجل يا سهى مش أنا إللي أقابل بنات الناس في الخفا.

هرولت سهى من أمامه وقلبها يملؤه الأمل والسعادة.

****

عاد عبد الله مسرعا ليخبر علي أن سهى أبدت موافقتها وأنه سيحضر إلى المنزل في المساء ليتقدم لها بشكل رسمي.

تمت الخطبة وسط سعادة الجميع فقد كان عبدالله هو ما يتمنى علي لأخته الحبيبة، بينما أصرت إعتماد ألاّ يتم الزفاف قبل أن تنهي سهى دراستها حاول عبد الله الاعتراض فقالت إعتماد بحزم: هي كلمة مالهاش تاني بتحبها وعاوزها استناها غير كده لأ.

نظرت وقتها سهى لعبدالله الذي قال مطمئنا لقلبها: أنا أستناها العمر كله مش سنة واحدة.

لكن أنا كمان من حقي أكتب عليها وبعد كده أستناها بس تبقى على ذمتي .

قالت بهدوء: في دي عداك العيب نكتب آه لكن دخلة لما تخلص المعهد.

وهكذا تم الاتفاق لعقد القرآن وتأخير الزفاف.

****

كانت هبة تحاول مرارا وتكرارا أن تسترضى أمها وكثيرا ما صحبت ابنها لعل قلب أمها القاسي يلين للصغير لكن بلا أمل حتى وجدت في صباح أحد الأيام من يطرق الباب.

أسرعت تجيب: أيوه يالي على الباب جايه أهو.

فتحت فوجدتها إحدى جارات أمها ليتسلل القلق إلى قلبها فورا: أهلا يا خالتي نورتيني والله تعالي اتفضلي.

لتقول الجارة بحزن: أنا مش جاية أتضايف يا بنتي بس.

تسائلت هبة بخوف: بس إيه يا خالتي أوعي تكون أمي تعبانة؟

قالت الجارة: يا بنتي أمر الله ونفذ واسترد الوديعة.

هبة وهي تضع يدها على قلبها: أمي ماتت، أنا سبت أمي ماتت لوحدها، ماتت زعلانة مني .

أسرعت الجارة تواسيها قائلة: وحدي الله يا بنتي ربك عالم ومطلع إنت كنتي بتعملي إيه الله يرحمها كان دماغها ناشف وياريتها كانت على حق يالا يا بنتي يالا يا حبيبتي علشان تخدمي أمك آخر خدمة.

هكذا كانت النهاية عاشت تظلم وتقسو، فماتت منبوذة وحيدة ولم يكتشف موتها إلا بعد ثلاثة أيام أبعدت الجميع عنها، وفضلت الظلم واستباحت الحقوق والأموال فها هي النهاية بلا أموال بلا رفقة بلا عمل صالح يشفع لها، سوى من ابنة بارة هى رحمة فى الحياة والموت.

أسرعت هبة لمنزل أمها وأسرع الجميع لاحقا بها عدا سهى، التي لم تتقبل دخول المنزل مرة أخرى ففضلت البقاء بمنزل والدها، والاعتناء بحسن الصغير الذى أحضره لها عبد الله فالموقف لا يتحمل وجود صغار

بينما وقف محمود يواسي زوجته ويدعمها في مصيبتنا وترك تنظيم العزاء لعلي وعبدالله.

****

تمر الأيام على أبطالنا سريعة علي يكدح ليلا نهارا ليحضر لأخته كل ما تتمنى، وكأنها لم تتزوج من قبل وعبد الله يجهز بيت الزوجية بسعادة غامرة وينتظر اليوم الذى يجمعه بحبيبته .

مر العام وهو يتودد إليها يوما بعد يوم ويزداد شغفا بها، وهى تزداد حبا له وثقة به، ومما عزز ثقتها احترامه لها فلم يحاول أن ينفرد بها إطلاقا أو يتجاوز حدوده رغم أنها ليست بكرا إلا أنه لم يحاول استغلال ذلك لإرضاء شهواته، حتى كان ذلك اليوم قبل الزفاف بإسبوع واحد.

توجهت سهى بصحبة إعتماد لمنزل الزوجية لتجهيزه وفرشه استعدادا للزفاف كانت هبة تساعد قدر الاستطاعة، فهى حامل فى مولودها الثاني تأخر الوقت وعاد محمود وعبدالله من الورشة وصحبهما علي ليصحب أمه وأخته إلا أن محمود أقسم عليهم لتناول الطعام قبل الرحيل، فاضطر علي للرضوخ لرغبته فهو يعتبره أخ أكبر قبل كل شيء منذ عمل عنده بعد وفاة والده وهو يغدقه بحنانه وعطفه.

صعدت إعتماد لمساعدة هبة تبعها علي ومحمود وحين همت سهى بالخروج من الشقة للحاق بهم وجدت علي يجذبها ويسرع بإغلاق الباب

عقدت ساعديها وهى تنظر له بغند: عبدالله بتعمل إيه!! يلا نحصلهم.

اقترب عبد الله برفق وهو يقول: حرام عليكى منشفة ريقى بقى لى شهر مش عارف أقعد معاكي مرة.

ضحكت ببراءة سلبته عقله فورا وهى تقول: مش كان عندى امتحانات ولا عاوزنى أعيد السنة وتستنى كمان سنة.

أسرع يقول: لا أنا فى عرضك استنى إيه كده كفاية أوى.

نظرت له بخجل: طب خلينى أطلع.

اقترب يحتجزها بينه وبين الحائط بذراعيه وقال: توتوة أنا خلاص هتجنن عليكى مش قادر أصبر أكتر من كده.

أخفضت رأسها خجلا وقالت: لأ يا عبد الله كلها أسبوع وأبقى كلي ليك.

اقترب منها هامسا: أنا جوزك بشرع ربنا وأنا وإنتى لوحدنا وأول مرة يتقفل علينا باب إيه يمنعني.

رفع رأسها ليرى عينيها الخضراوين وهو يقول: إيه يمنعنى أتمتع بالحب إللى بقى لى سنين بستناه.

قالت وهى تنظر إلى عينيه مباشرة: رجولتك تمنعك

أعاد رأسه للخلف وهو يقول: رجولتى بتطلب كل حاجة فيكي إزاي هتمنعني ؟؟

قالت بثبات وهى لا تزال تنظر لعينيه: الذكورة هى إللى بتطلب يا عبد الله بتطلبني علشان تلبي رغبة وتطفي شوق، لكن رجولتك هتخليك تحميني منك حتى وإحنا لوحدنا حتى وأنا بين إيديك علشان حبنا يبتدى صح حبنا اتولد فى النور ولا زم يعيش فى النور.

تنهد عبدالله وهو ينظر لها بتعجب وقال: إنتى بتجيبى الكلام ده منين؟؟

اتسعت ابتسامتها وهى تقول: من ثقتي في نفسي إللي عرفتها مع حبك من رجولتك إللي مشفتهاش قبلك.

ضرب عبدالله على جبهته ومسح وجهه وقال: آه منك ومن كلامك طب بصي حاجة صغيرة أوي نفسي فيها من زمان.

قالت ببراءة: إيه هي؟؟

اقترب برأسه يقبلها بحنان ورقة قبلات ساخنة متتالية ليبتعد بعد فترة، وهو يحملق فيها بعينين تشعان حبا ويقول: أنا بقول نمشي من هنا أحسن لا هيبقى فى فرح ولا فستان ولا أى حاجة بعد إللي ممكن أعمله اتفضلي يا فيلسوفة قبل ما الذكورة تغلب الرجولة وتلاقي نفسك فى أوضة النوم .

ضحكت سهى وهى تتخطاه للأمام وتقول: بردوا أنا واثقة فيك .

جذبها من ذراعها لتعود للخلف وقال: واثقة فيا للدرجة دي.

ابتسمت وقالت: إللي يخاف يقابل واحدة علشان يطلب منها الجواز ويستأذن أخوها الأول عمره ما يعمل حاجة فى الضلمة إللي يقعد الوقت ده كله صابر ومستني علشان يطمن حبيبته عمره ما يكسر فرحتها أنا واثقة فيك يا عبد الله.

لم يعد يحتمل بعدها فضمها بحنان: يعني صدقتي إنك حبيبتي، صدقتيني يا نبض قلبي.

تنهدت وهي تغمض عينيها وتتمتع بدفء صدره: مصدقاك وواثقة فيك.

ظل يضمها للحظات قبل أن تبتعد عنه بهدوء وتقول: يلا علشان تطلع .

مسح وجهه بكفيه وهو يتبعها والشوق إليها يذيب كيانه.

****

سرعان ما مرت الأيام وتم الزفاف للمرة الأولى بحياتها ترتدي هذا الفستان الأبيض ... وتشعر بهذه السعادة الغامرة... للمرة الأولى تقيم زفافا يجتمع فيه أهل الحي يهنئون بسعادة ... للمرة الأولى تتمتع بفرحة حبيبها ولهفته عليها أمام الجميع.

دون أن يخشى أحد..أو يخاف أحد

فكرت للحظة ترى إن كان أهله على قيد الحياة كانوا يقبلون بها؟؟؟

نظرت لمحمود وعبدالله لتنفض تلك الوساوس عن رأسها وتقول بثقة: من ينجب مثل هذين الرجلين لا يكون إلا إنسان يملك قلبا من ذهب .

انتهى الزفاف ليصحب عبد الله حبيبته وحلم عمره إلى منزلهما البسيط الذى أعداه معا بالحب.

فتح الباب ثم أشار لها بيده لتقف فيحملها بين ذراعيه ويبتسم قائلا: والله ما يحصل وتخطي خطوة تاني النهاردة دخل بها يسير بخطى بطيئة مستمتعا بالنظر إلى وجهها الذي يزداد توره كل لحظة.

وضعها فوق الفراش وجلس أمامها وقال بهمس: أنا حلفت بالله هتوقعي اليمين، هزت رأسها نفيا فابتسم وقال: هجيب لك هدوم تغيرى وبعدين تنادى عليا أشيلك للحمام تتوضي وترجعي تنادي عليا أشيلك السجادة .

مد كفه يتلمس وجهها الذي تورد بشدة وهو يقترب من شفتيها بلهفة، يشعر باضطراب أنفاسها فجاهد نفسه، وعاد للخلف واتجه للدولاب انتقى لها قميصا رقيقا وأحضر معه الإسدال وضعهما بين يديها واختطف قبلة سريعة وهرول خارجا

أوفى بيمينه وظل يحملها من هنا لهناك بسعادة حتى انتهيا من الصلاة لتظل جالسة بحيرة وحيرته لا تقل عن حيرتها يخشى الاقتراب فيخيفها ويخشى الابتعاد فيجرحها.

نظر لها وطال الصمت حتى قال: جعانة يا قلبي؟؟

هزت رأسها نفيا وقالت: لأ ما أنا أكلت فى الكوافير.

هز رأسه بتفهم وقرر أن يجازف وليكن حريصا نهض عن الأرض وحملها لتضحك وتقول: وبعدين هتفضل شايلني طول الليل.

ابتسم لها وقال: أشيلك العمر كله...على قلبي زي العسل.

وضعت رأسها على صدره براحة وهو يتجه بها للغرفة حتى وضعها بالفراش وقال بحرج: دقيقة وجاي.

أسرع للخارج وأسرعت تخلع عنها الإسدال أرادت تعليقه لكنها تذكرت يمينه لتتراجع وتضعه فوق الفراش وجلست بهدوء تنتظر عودته، لم تنتظر طويلا فسرعان ما عاد حاملا كوبين من الحليب ليقدم لها أحدهما ويشرب الآخر.

شربه دفعه واحدة ونظر لها وقد ارتشفت رشفة واحدة ليقول بمرح: لا اشربي يلا.

ومد كفه يسند الكوب ولم يتركه حتى أفرغته وضعه جانبا وهى تلهث وتقول: كده يا عبد الله طب ادينى فرصة أخد نفسى.

جلس أمامها واقترب بهدوء قائلا: حقك عليا..

تلمس شفتيها برقة سرعان ما تحولت للهفة سرعان ما تحولت لشغف، وهو يراقب جيدا رد فعلها فلم يشعر بالرفض أو النفور ليترك العنان لقلبه المشتاق ليروي ظمأه من حب طال انتظاره.

***

اغتالوا براءتى

بقلم قسمة الشبيني

حاولت قدر الاستطاعة أكتب نهاية سعيدة رغم إن بنات كثيرات نهايتهم بسبب الزواج دون السن كانت تعيسة.

كم بنت تزوجت وتنكر للزواج سواء من الزوج أو من أهله؟

كم بنت تزوجت وأنجبت ولم تتمكن من تسجيل المولود بسبب عدم اعتراف الدولة بالزواج؟

كم فتاة أصبحت تعيسة بسبب الزواج العرفي؟

أوقفوا اغتيال البراءة

أرجو القصة تكون نالت إعجابكم

قسمة الشبيني.